مملكة البحرين
وزارة التربية والتعليم
إدارة المناهج

دين ٢٢١

الشريعة وأصول الفقه

للمرحلة الثانوية

قررت وزارة التربية والتعليم بمملكة البحرين تدريس هذا الكتاب بمدارسها الثانوية

الشريعة وأصول الفقه

للمرحلة الثانوية

تأليف

فلاح محمد مقدادي

اختصاصي مناهج التربية الإسلامية (سابقًا)

أحمد عبدالله عطا الله

مدير المعهد الديني (سابقاً)

مراجعة

أحمد يوسف جبر

الاختصاصي الأول لمناهج التربية الإسلامية (سابقًا)

الطبعة الثالثة

١٤٣٧ - ٢٠١٦م

حقوق الطبع محفوظة لوزارة التربية والتعليم بمملكة البحرين

Deen 321 (2015).indd 1 04/08/2016 13:07:48

تعديـــل

زياد محمد الكايد

اختصاصي مناهج التربية الإسلامية (سابقًا)

د. يوسف محمود العلوي

خبير المناهج بوزارة التربية والتعليم

ناصر جاسم الفايز

الاختصاصي الأول لمناهج التربية الإسلامية

للتعليم الثانوي

تصميم الغلاف

والإخراج والتنفيذ

ياســر رفعــت

Deen 321 (2015).indd 2 04/08/2016 13:07:48

حضرة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة

ملك مملكة البحرين المفدى

Deen 321 (2015).indd 3 04/08/2016 13:07:49

Deen 321 (2015).indd 4 04/08/2016 13:07:49

المحتـــوى

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
الفصل الأول: الشريعة الإسلامية:	
– أثر الشريعة الإسلامية في المجتمع.	١١
– مقاصد الشريعة الإسلامية.	١٦
– مصادر الشريعة الإسلامية:	
أولاً– القرآن الكريم.	٢٢
ثانيًا– السنة النبوية.	٢٦
ثالثًا– الإجماع.	٣١
رابعًا– القياس.	٣٦
الفصل الثاني: أصول الفقه:	
– الفقه وأصوله.	٤٥
– الحكم الشرعي.	٤٨
الفصل الثالث: مصطلحات أصولية:	
– الناسخ والمنسوخ.	٥٩
– المجمل والمبيّن.	٦٦
– العام والخاص.	٧١
– الأمر والنهي.	٧٧

الفصل الرابع: الاجتهاد:

– حقيقة الاجتهاد. ٨٥

– أدوار الاجتهاد. ٩١

– اختلاف المجتهدين. ٩٧

الفصل الخامس: الأئمة الأربعة ومناهجهم في الاجتهاد:

١– الإمامان أبو حنيفة ومالك. ١٠٣

٢– الإمامان الشافعي وأحمد. ١١٠

الفصل السادس: القواعد الفقهية:

– المقصود بالقواعد الفقهية. ١١٩

– نماذج من القواعد الفقهية المشتهرة. ١٢١

المقـدّمـــة

الحمد لله الذي كرَّم الإنسان بالقرآن، وعلَّمه البيان ليفقه في الدين من أراد به خيرًا، والصلاة والسلام على من بعثه الله تعالى معلمًا وهاديًا لخير الدنيا والأخرى، محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع منهجه إلى يوم الدين، وبعد:

فهذا كتاب «**الشريعة وأصول الفقه**» دين ٣٢١، نضعه بين أيدي طلابنا الأعزاء، الذين يطبقون نظام توحيد المسارات في المرحلة الثانوية.

ولما كان علم الشريعة عامًا ومشمولها واسعًا، فقد اخترنا واحدًا من تلك العلوم التي ينتظمها عقد الشريعة المتناسق، وهو أصول الفقه لما لهذا العلم من فضل في تأسيس الشريعة على مبادئ عقلية تستخدم التفكير العلمي السليم وخطواته في الوصول إلى حل المشكلات التي تتحدى تفكير الفرد المتعلم في مجال فهم الإسلام وتطبيقه.

ونظرًا لطبيعة علم أصول الفقه من حيث اعتماده على المحاجة العقلية والبراهين المنطقية والنصوص النقلية، فقد آثرنا أن نقدمه إلى الطالب في هذه المرحلة بطريقة متدرجة محتوىً وأسلوبًا حتى يألفه ولا ينفر منه، فيقدم على دراسته والتوسع فيه، ويقتنص المتعة في معاناة البحث والاستقصاء لموضوعاته.

ومن هذا المنطلق، منطلق التيسير والتسهيل والتخفيف، جعلنا الموضوعات العامة في الشريعة (مفهومها، وخصائصها، ومقاصدها، ومصادرها، وآثار تطبيقها في المجتمع الإسلامي ... وغيرها) هي معظم المادة العلمية التي يتكون منها الكتاب.

أما الموضوعات الأصولية فقد دارت حول محورين: محور تاريخي نظري مثل: أدوار الاجتهاد وحاجة الأمة إليه، والأئمة الأربعة وطرائق اجتهادهم، ومحور علمي فيه استقراء واستنباط، وتحليل وتفسير، وقد اشتمل على موضوعات: الحكم الشرعي والنسخ وبعض المباحث الأخرى التي وضعناها تحت عنوان «مصطلحات فقهية».

وقد التزمنا – ونحن نعالج موضوعات هذا الكتاب – بجملة من المبادئ التربوية التي تكفل للكتاب تحقيق أغراضه، ومن أبرز هذه المبادئ ما يلي:

- مراعاة مستوى نضج الطالب ونموه، وبخاصة نموه العقلي، ومحصوله المعرفي وقدراته اللغوية.
- اعتماد أقوى الأدلة في الاستشهاد، وأيسرها فهما على الطالب، والابتعاد عن مواطن الاختلاف بين الفقهاء وعلى وجه الخصوص تلك التي يكون حظها قليلاً في مجالات التطبيق العملي.

Deen 321 (2015).indd 7 04/08/2016 13:07:49

- التدرج المنطقي في تقديم المادة وتنظيمها بطريقة تسمح للطالب وتمكنه من فهمها ومراجعتها وتقويمها ذاتيًا.
- انسجام المادة مع عدد الساعات المقررة لها في الفصل الدراسي الذي يختار الطالب فيه هذا الكتاب.
- ارتباط مادة الكتاب بالأهداف الخاصة بالمساق، ومحاولتها تحقيق تلك الأهداف بالأنشطة والخبرات التعليمية الملائمة.
- الحرص على دقة المادة العلمية وتوثيقها، وذلك لتسهيل عودة المعلم والطالب إلى مصادرها ومراجعها للاستئناس والاستزادة.

وتتميما للفائدة، فإننا نرجو من إخواننا المعلمين والطلاب وكل مهتم بالتربية الإسلامية ألا يتوانوا عن تقديم الملاحظات والاقتراحات حول ما قدمناه من محاولات لتوضيح علوم الشريعة وأبحاثها، إذ إن كل جهد بشري محكوم بالنقص والكمال لله وحده.

والله ولي التوفيق

المؤلفـــان

Deen 321 (2015).indd 8 04/08/2016 13:07:49

الفصل الأول:

الشريعة الإسلامية

Deen 321 (2015).indd 10 04/08/2016 13:07:49

أثر الشريعة الإسلامية في المجتمع

عرفت البشرية في ماضيها وحاضرها كثيراً من التشريعات، وجربت العديد من الأنظمة والنظريات في مختلف جوانب حياتها، فلم تحقق ذلك الاستقرار والأمن والعدالة الاجتماعية التي كانت تنشدها إلا في رحاب الشريعة الإسلامية.

والسبب الرئيس في ذلك أن الشريعة الإسلامية تكتسب أهميتها، وتحقق آثارها في المجتمع لأنها تستند إلى عقيدة سمحة ترعى الفطرة الإنسانية، وتقدر عقل الإنسان وتحترم رأيه وتحرك فيه دواعي الخير نحو بني البشرية جمعاء.

وعند الحديث عن آثار الشريعة الإسلامية على الفرد والمجتمع، لا ننطلق من تصورات وأفكار عاشت في عقول المنظرين وتصوراتهم دون أن ترى النور، وإنما نصف تطبيقاً حياً وملموساً جربته البشرية فترة طويلة من الزمن، سعدت به واطمأنت له قبل أن تتكالب عليه قوى الشر والعدوان التي أبعدته عن واقع المسلمين.

ومع ذلك، وعلى الرغم من ضخامة الجهود التي بُذلت وما زالت تُبذل لإبعاد المسلمين عن شريعتهم، إلا أنها بقيت فاعلة، ومنذ العصور الإسلامية الأولى في كثير من جوانب حياة المسلمين، فهي مؤثرة وفاعلة في مجال الأحوال الشخصية، من زواج وميراث وحضانة ووصية وغير ذلك، وهي فاعلة ومؤثرة في قيم المجتمع وعاداته وتقاليده، وهي محل افتخار الإنسان المسلم في اعتقاده وانتسابه وانتمائه وولائه.

وسنقدم في هذا الموقف صورة موجزة عن بعض آثار الشريعة الإسلامية في المجتمع، نوردها ليس على سبيل الحصر، إنما على سبيل التمثيل، تاركين مجال الاستزادة لك – أيها الطالب – لتكتشف الكثير من كنوز هذه الشريعة الغرّاء وآثارها.

وفيما يلي بعض هذه الآثار التي تترتب على تطبيق الشريعة في المجتمع:

١ – **الشعور بالراحة النفسية والطمأنينة القلبية**: يشعر المسلمون بالسعادة تملأ نفوسهم عندما يعيشون في ظلال الشريعة الإسلامية، ويرونها تطبق في المجتمع، وذلك لما تتميز به من مرونة ووسطية وتسامح واعتدال، ولأنهم يعلمون أن تطبيق الشريعة عبادة يثاب عليها المسلم. ويبقى المسلم في حالة قلق وشك وارتياب في معاملاته وممارساته إذا شعر أنه يخالف الشريعة الإسلامية، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1].

١ – سورة النساء، آية ٦٥.

Deen 321 (2015).indd 11 04/08/2016 13:07:49

٢- **حرص المسلم على الشريعة وزيادة التزامه بها:** لا يفكر المسلم بمخالفة الشريعة أو الخروج على أوامرها، لا في السر ولا في العلن، لأنه إن خالفها علانية فسوف تطبق عليه العقوبات التي ينفذها المسؤول، وإن خالفها في السر فإنه سيعاقب يوم القيامة على مخالفته للدين بعقوبة أشد. وهذه ميزة للشريعة الإسلامية لا يشاركها فيها قانون من وضع البشر، أو نظام من صنع فئة من الناس.

وهـذه الميزة تجعل القوانين الإسلامية مهابة ومحترمة، ينفذها المـرء المسلم طواعية واختيارا، مما يعود على المجتمع بنعمة الأمن والاستقرار.

٣- **تحقيق المساواة وانتفاء المحاباة:** حرص الإسلام على تقرير مبدأ المساواة بين الناس حرصاً شديداً. ليس في دائـرة الاقتصاديات وحدها كما فعلت المذاهب الماديـة، وإنما في مختلف مجالات الحياة. وهـي مساواة في النظرة إلى أصل الإنسان، ومساواة بـين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، ومساواة في التكريم لكل بني البشر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ...﴾ [١].

وفي الوقـت الذي قرر فيـه الإسلام المساواة تقريراً عملياً مطبقاً، فقـد حارب المحسوبية والمحاباة (أي تفضيـل نفـر أو فرد على آخر، لقرابة أو جاه أو غير ذلك). وقصة عمر بن الخطاب ﷺ مع ابن عمرو ابن العاص والي مصر، والقبطي معروفة.

نشاط ١:

احكِ هذه القصة لزملائك في الصف.

وهذا الأثر للشريعة الإسلامية عظيم التأثير على تماسك المجتمع وقوته وازدهاره، فهو يقضي على الظلم والتسلط، ويحقق العدل والخير للناس جميعاً.

٤- **تحقيق التجانس وإرساء دعائم الوحدة بين أفراد المجتمع:** من أهم الأهداف التي يسعى إليها كل مجتمـع مـن المجتمعات الإنسانية، هو العمـل على إيجاد التجانس الثقـافي والفكري بين أبناء المجتمـع الواحد، لأن ذلك يعطي للمجتمع عزة وقـوة، لا يحققها امتلاكه لأفتك أنواع الأسلحة وأكثرها تطوراً. والشريعة الإسلامية بما تتصف به من قواعد ومبادئ مرنة قادرة على توجيه جميع أفـراد الأمة الوجهـة الواحدة الصالحة لها ولغيرهـا مما يؤدي إلى تجانس في الفكـر والثقافة وسائر أنواع السلوك الإنساني في المجتمع الواحد.

١- سورة الإسراء، من آية ٧٠.

Deen 321 (2015).indd 12 04/08/2016 13:07:50

وينجم عن ذلك التجانس في الفكر والثقافة والسلوك ترسيخ لدعائم الوحدة في المجتمع الإسلامي، ويصبح أبناء هذا المجتمع أمة واحدة متميزة يصدق فيها قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[1]. وأنها خير أمة بين الأمم بما تدعو إليه من نفع للبشرية وصلاح. وقد قال الله تعالى عنها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[2].

وينتج عن ذلك أيضاً أن الأمة تشعر باعتزاز وباعتداد بنفسها، لأنها تحتكم إلى شريعة الله المنبثقة عن دينه، وأن الفكر الناشئ عن ذلك هو فكر العلماء والفقهاء من أبنائها، وليس فكراً أجنبياً دخيلاً.

٥- **تحصين المجتمع بالقيم النبيلة والأخلاق السامية:** إن مجتمع شريعة الإسلام هو معقل القيم وموطنها، فيه تسود المحبة، وتتحقق الأخوة، وتنتشر الفضيلة بين أبنائه. أساسه التقوى وتقديم الخير للآخرين، وشعاره الأمن والسلام فلا تهديد لحياة الناس لأنها هبة من الله سبحانه لهم، ولا يجوز التعدي على ما وهب الله لعباده. وهو مجتمع الأخلاق الفاضلة، فالصدق، والتكامل والتراحم، والتواضع ولين الجانب والابتعاد عن المفاسد الخلقية كالغش والنفاق والربا والتعدي على حقوق النفس والآخرين بالمخدرات والمشروبات الضارة والقمار والانتحار وغيرها، كل ذلك أثر ومأثرة من مآثر الشريعة الإسلامية في المجتمع المسلم. وإن الإنسان وهو ينظر إلى ذلك الصرح العظيم من قيم الشريعة وأخلاقها، يدرك ميزة هذه الشريعة على غيرها، وبخاصة عندما يرى تلك الموبقات والأخلاق الفاسدة، بل وحتى الأمراض الخطيرة التي تفتك بالمجتمعات غير الإسلامية. ولقد قرر علماء الاجتماع أن الأمة إذا فسدت أخلاقها فإنها إلى زوال، ولو طال زمن وجودها.

٦- **زيادة الإنتاج ووفرته:** تحث الشريعة على العمل، وتوجب على الحاكم فتح مجالاته أمام المجتمع. وتهتم بكون العمل نافعا ومنتجا، أما الأعمال التي لا تعود على المجتمع بأي إنتاج أو خير فإن الشريعة تمنعها، كنوادي اللهو غير المباح، والقمار واليانصيب والتعامل بالربا وغير ذلك من أساليب الكسب غير المشروعة والتي لا تفيد المجتمع.

وتحض الشريعة الإسلامية كل فرد قادر في المجتمع على أن تكون له حرفة خاصة به، وذلك حرصًا منها على تقدم المجتمع وزيادة ثرواته.

ولقد عرفت المجتمعات الحرف بأسماء الأسر، فعرفنا الحايك والقرواتي، والصابوني والزجاج ... الخ تلك الحرف اليدوية التي مارستها وما تزال بعض الأسر تمارسها وجميع ذلك بفضل تشجيع الشريعة على العمل.

١- سورة الأنبياء، آية ٩٢.

٢- سورة آل عمران، آية ١١٠.

Deen 321 (2015).indd 13 04/08/2016 13:07:50

ومما أكدته الشريعة في مجال زيادة الإنتاج ووفرته أن يخلص الفرد في عمله وأن يكون أمينا فيه، وأن يكون العمل متقنا.

وفي الوقت الذي تشجع الشريعة على الإنتاج وزيادته، وعلى الإخلاص والأمانة والدقة فيه فإنها تشدد على الاقتصاد في النفقة وعدم التبذير والإسراف وهو ما أطلق عليه بعضهم في العصر الحاضر الترشيد في الاستهلاك. فإذا فعلت الأمة ذلك استغنت بذاتها عن غيرها، وحفظت كرامتها، وكانت قدوة لغيرها.

نشاط ٢:

استنتج آثارًا أخرى للشريعة الإسلامية في المجتمع، ودوّنها في كراستك.

Deen 321 (2015).indd 14 04/08/2016 13:07:50

التقـــويم

١ – دعامتا الإسلام، هما: العقيدة والشريعة . فما أثر كل واحدة من هاتين الدعامتين في الأخرى.

٢ – بقيـت الشريعة مؤثرة في كثـير من جوانب الحيـاة في المجتمعات الإسلامية. مثّـل بثلاثة من هذه الجوانب. وإلى ماذا ترجع ذلك على الرغم من أن بعض هذه المجتمعات لا يطبق الشريعة الإسلامية؟

٣ – من آثار الشريعة الإسلامية في المجتمع:

– الشعور بالراحة النفسية والطمأنينة القلبية.

– حرص المسلم على الشريعة وزيادة تمسكه بها.

اشرح هذين الأثرين مبينا أهميتهما.

٤ – ما المقصود بالتعابير التالية:

– تنتفي المحاباة في المجتمع عند تطبيق الشريعة الإسلامية.

– الشريعة الإسلامية تحقق التجانس بين أفراد المجتمع.

– الاحتراف مبدأ دعت إليه الشريعة الإسلامية.

٥ – للشريعة الإسلامية أثر في زيادة الإنتاج ووفرته. وضح ذلك من خلال ما يلي:

أ – موقفها من العمل.

ب – أثر الإخلاص والأمانة والإتقان في الإنتاج.

جـ – ترشيد الاستهلاك والاعتدال في النفقة.

٦ – علل المقولة التالية:

«إن تطبيـق الشريعة الإسـلامية في المجتمع يحافـظ على حيويتها ويبقيها فتية فلا تشـيخ» مستعينا بما يلي:

– تعدد العقائد والنظريات والأفكار.

– تجدد مشكلات الناس وتعقدها.

– تقرير الشريعة للعقل الإنساني واحترامه.

Deen 321 (2015).indd 15 04/08/2016 13:07:50

مقاصد الشريعة الإسلامية

إن للشريعة الإسلامية مقاصد معينة، أرادها الله سبحانه وتعالى، وهي في مجموعها فوائد ومصالح ومنافع للناس، ولم يفرض الله سبحانه على عباده شيئًا لتعجيزهم، وإنما لما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة.

وما أنزل الله تعالى الشرائع وأرسل الرسل إلا لإقامة نظام البشر على الحق والعدل، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1].

وإذا أمعنا النظر في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، تيقنا أن أحكام الشريعة الإسلامية ترجع كلها للصلاح العام للمجتمع والأفراد، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾[2]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[3].

ومن السنة قوله ﷺ: (**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**)[4]، وقوله: (**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه...**)[5].

تعريف المقاصد الشرعية:

والمقاصد الشرعية هي: معان حقيقية تدرك العقول السليمة ملاءمتها للمصلحة أو منافرتها لها، أي تكون جالبةً نفعًا عامًا، أو دافعةً ضررًا عامًا كإدراك كون العدل نافعا، وكون الاعتداء على النفوس ضارا.

مقاصد الشريعة الإسلامية في التشريع:

ويجب أن نعلم علم اليقين أن مقاصد الشريعة في التشريع حفظ نظام العالم وضبط تصرف الناس فيه على وجه يعصم من الفساد والهلاك، ويكون ذلك بتحصيل المصالح، واجتناب المفاسد، بغية إسعاد البشرية في الدنيا والآخرة.

١- سورة الحديد، من آية ٢٥.

٢- سورة المائدة، من آية ٦.

٣- سورة البقرة، من آية ٢٠٥.

٤- أخرجه البخاري ومسلم.

٥- أخرجه مسلم وأحمد.

Deen 321 (2015).indd 16 04/08/2016 13:07:50

أصناف مقاصد الشريعة:

يمكن تصنيف مقاصد الشريعة إلى ثلاثة أصناف: (الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات).

أ – المصالح الضرورية (الضروريات):

هي التي يتوقف عليها قيام مصالح الناس في حياتهم الدينية والدنيوية، وإذا فُقدت لم يستقم أمر هذه المصالح، وتحولت حالة الأمة إلى فساد واختلال، وتصير أحوالها شبيهة بالأنعام، وتصبح أمور الدين انحرافا وفوضى، وأمور الدنيا خسارة وضياعا. وقد حصر العلماء الضروريات في خمسة أمور وسموها الضروريات الخمس، وهي: حفظ النفس، والعقل، والدين، والنسل، والمال. واعتبروا كل ما من شأنه تحقيقها ضروريا كذلك، حيث لا تستقيم الحياة إذا تعرضت إحدى هذه الضروريات للتعدي عليها أو الانتقاص منها.

قال الإمام الغزالي: (وتحريم تفويت هذه الأصول الخمسة يستحيل أن لا تشتمل عليه ملة ولا شريعة أريد بها إصلاح الخلق. وقد علم بالضرورة كونها مقصودة للشرع لا بدليل واحد وأصل معين، بل بأدلة خارجة عن الحصر)[1].

فالمحافظة على كل واحد من هذه الأصول الخمسة يكون حفظا للمصالح الضرورية:

١ – **فالمحافظة على الدين**: وتكون بالفهم الصحيح له، والامتثال لأوامره ونواهيه، والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، والدفاع عنه بالوسائل الشرعية التي تحفظه وترفع رايته.

٢ – **المحافظة على النفس**: تكون بحفظ الأرواح من التلف قبل وقوعه مثل مقاومة الأمراض السارية. وقد منع عمر بن الخطاب ﷺ الجيش من دخول الشام عندما كان الطاعون منتشرًا في بلد اسمه (عمواس). وقد شُرع القصاص محافظةً على النفس الإنسانية وإبقاءً لها، وكان هذا القصاص حقًّا لولي القتيل، قال الله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾[2].

---

١ – المستصفى للغزالي.

٢ – سورة الإسراء، من آية ٣٣.

Deen 321 (2015).indd 17 04/08/2016 13:07:50

وفي مشروعية القصاص قضاء على فكرة الثأر التي كانت متحكمة في الجاهلية، والتي كانت تسبب الكثير من إهدار الدماء، وجاء القرآن يبين أن القصاص ليس حفظا لحق المقتول فحسب، ولكنه حقن للدماء أيضا في المجتمع وحياة لأفراده، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]. ويلحق بحفظ النفس حفظ بعض أطراف الجسد من الإتلاف، مثل: الأطراف التي جُعلت في إتلافها خطأ الدية كاملة.

نشاط ١:

استنتج أحكامًا أخرى حافظت بها الشريعة الإسلامية على النفس البشرية.

٣- **والمحافظة على العقل**: تكون بحفظ عقول الناس من أن يدخل عليها أي خلل؛ لأن دخول الخلل على العقل يؤدي إلى فساد عظيم من عدم الانضباط في التصرف والسلوك. ومن هنا فقد حرَّم الله الخمر وفرض حدًّا معينًا عقوبةً لشاربها، قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]. وقال الرسول ﷺ: (**كل مسكر خمر وكل خمر حرام**)[3].

ولذلك يجب حماية الأمة من كل ما يذهب العقل مثل الحشيشة والأفيون والمورفين والكوكايين والهيرويـن ... الخ، بين أفرادها إذا أرادت أن تحيا حياة كريمة وتحافظ على هذه الجوهرة التي حبانا الله إياها، وميزنا بها عن سائر مخلوقاته، ألا وهي العقل.

نشاط ٢:

وضع الإسلام الأحكام الكثيرة التي تهدف إلى تغذية العقل وتهيئة الفرص أمامه للعلم والعمل والإبداع والاختراع. تحدث عن بعضها.

١- سورة البقرة، آية ١٧٩.

٢- سورة المائدة، آية ٩٠.

٣- أخرجه البخاري ومسلم.

Deen 321 (2015).indd 18 04/08/2016 13:07:50

٤- **والمحافظة على النسل**: تكون بحفظ الأنساب من الاختلاط والتعطيل، عن طريق مشروعية الزواج كما بين ذلك الرسول ﷺ بقوله: (**تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإني مُباهٍ بكم الأمم يوم القيامة**)[١]. وتحريم الزنا ومشروعية الحد عقوبةً لفاعله، وصونًا للنسب والعرض.

وهنالك أحكام كثيرة تتعلق بالمحافظة على النسل، تهدف منها الشريعة إلى سد كل المنافذ الموصلة إلى الجريمة التي تؤدي إلى الاستهانة بأمر النسل بجانب ما فيها من الهدم الخلقي مثل: تحريم إسقاط الجنين، وترتيب الدية على قتله وهو في بطن أمه.

٥- **والمحافظة على المال**: تكون بحفظ أموال الأمة من الضياع والإتلاف. ومن أجل ذلك حُرمت السرقة وشُرع حدها، قال تعالى: ﴿**وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ**..﴾[٢]. كما حرمت الشريعة الكسب غير المشروع كالربا، والميسر، والاحتكار، وأكل المال بالباطل، وكثير من البيوع المنهي عنها.

ورسمت الطريق السديد للكسب المشروع بالعقود والمعاملات المباحة لصيانة الحقوق والأموال، وبينت سبل الإنفاق الصحيحة، وحجرت على السفهاء. وشرعت العقوبات والضمانات لحفظ الأموال وصيانتها فيعاقب المحتكر – على سبيل المثال – بثلاث عقوبات هي:

- **عقوبة أخروية** هي: عذاب شديد يوم القيامة.
- **عقوبة قضائية** هي: مصادرة الأموال المحتكرة وبيعها بثمن المثل.
- **عقوبة تعزيرية** هي: للحاكم يعاقبه بها أمام الناس.

ب – المصالح الحاجية (الحاجيات):

أما المصالح الحاجية: فهي التي يكون في تحقيقها رفع الحرج عن الناس فقط فلو فاتت هذه المصالح لا يضطرب نظام الحياة، ولا تختل أمور الناس الدينية والدنيوية، ولكن ذلك يوقعهم في شيء من الشدة والضيق.

واليسر ورفع الحرج مصلحة رعاها الشارع حق رعايتها، فقد شرع الله أنواعًا من العبادات والمعاملات حفاظًا عليها، وعلى سبيل المثال:

١- رواه الإمام أحمد.

٢- سورة المائدة، من آية ٣٨.

Deen 321 (2015).indd 19 04/08/2016 13:07:50

- نرى أن الرباعيـــة من الصلـــوات أباح الشارع قصرها إلى اثنتين في السفر، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾[1].
- **وفي شأن الصوم**: نرى بجانب فرض الصوم في رمضان على المكلف، شرع الله الفطر للمريض والمسافر على أن يقضي فيما بعد، قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[2].
- **وفي شـأن المعامـلات**: نـرى أن الله أحل البيع وحرم الربا، وفي ذلك حاجـة ماسة تتحقق للناس، ودفع للحرج عنهم. قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[3].

تنبيه:

معظم قسم المباح في المعاملات يرجع إلى الحاجيات.

ج – المصالح التحسينية (التحسينيات):

وهي التي لم يقصد بها ما قصد في سابقتها، من المحافظة على ما به تقوم الحياة، وما به تتيسر أمور الناس ويندفع عنهم الحرج.

وإنما يقصد بها ما وراء ذلك من الأخذ بالآداب ومحاسن العادات التي تساعد المجتمع على التسامي في التعامل وطرق العيش.

وهـذه مصالـح اعتبرها الشارع وقام الدليل الشرعي على رعايتها والتعامل بها كالذي نراه من أمر النبي ﷺ بالنظافـة، وحضّـه على لبس الجديد أيام العيد، ولباس الأبيض النظيف أيام الجمع، ومن أجل تحقيق هذه المصالح أيضا: حُرمت الخبائث من المطعومات، وكُره أكل ما له رائحة كريهة.

وهكـذا فما كان ضروريًـا: فهو من الضروريات، وما كان مكملاً ومتممًـا: فهو من التحسينيات، وما كان بينهما: فهو من الحاجيات[4].

١– سورة النساء، من آية ١٠١.

٢– سورة البقرة، من آية ١٨٥.

٣– سورة البقرة، من آية ٢٧٥.

٤– قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام ج١.

Deen 321 (2015).indd 20 04/08/2016 13:07:50

التقـــويم

١. عرّف المقاصد الشرعية.

٢. بيّن مقاصد الشريعة الإسلامية في التشريع.

٣. قسم العلماء مقاصد الشريعة الإسلامية ثلاثة أقسام كلية هي:

- .....
- .....
- .....

٤. وضّح كيف تتم المحافظة على:

- الدين.
- النفس.
- العقل.

٥. اذكر ثلاث صور لأكل المال بالباطل.

٦. عدد ثلاثة بيوع نهى عنها الإسلام.

٧. يعاقب المحتكر بثلاث عقوبات هي:

- .....
- .....
- .....

٨. ما المقصود بالمصالح الحاجية؟

٩. وازن بين المصالح الضرورية والتحسينية من حيث: المرتبة، والأهمية، مع التمثيل.

١٠. صنف الأمور التالية وفق المقاصد الشرعية الثلاث:

- دفع الصايل (وهو من يهاجمك بسلاح يريد قتلك). ( )
- اتخاذ الزينة والتطيب يوم الجمعة. ( )
- اقتناء السيارة. ( )
- استقدام العاملات في المنازل. ( )
- صبغ الشعر. ( )
- قطع الإصبع الزائدة عن الخمس. ( )
- كيّ الملابس قبل لبسها. ( )

Deen 321 (2015).indd 21 04/08/2016 13:07:50

مصادر الشريعة الإسلامية

مصادر الشريعة الإسلامية أربعة، وهي:

١. القرآن الكريم.
٢. السنة النبوية.
٣. الإجماع.
٤. القياس.

وفيما يلي تفصيل لهذه المصادر الأربعة:

أولا- القرآن الكريم

أنواع الأحكام في القرآن الكريم:

إن المتتبع للأحكام الشرعية الواردة في القرآن لا يجدها تخرج عن الأنواع الثلاثة التالية:

أ) **أحكام اعتقادية**: وهي المتعلقة بما يجب تصديقه كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر. وهذه الجوانب من العقيدة الإسلامية هي الفاصل بين الإيمان والكفر.

ب) **أحكام أخلاقية**: وهي كل ما يتعلق بما يجب التحلي به من كريم الأخلاق وحميد الصفات، وما يجب تجنبه من الرذائل إن قولا وإن عملا.

ج) **أحكام عملية**: تتعلق بما يصدر عن المكلف من أقوال أو أفعال أو عقود وتصرفات وهذا النوع هو المقصود الوصول إليه بعلم أصول الفقه.

والأحكام العملية في القرآن الكريم تشتمل على نوعين من الأحكام هما:

١- **أحكام العبادات**: من صلاة وصيام وحج وزكاة ونذر ويمين وغيرها من العبادات التي تنظم علاقة الإنسان بربه.

٢- **أحكام المعاملات**: من عقود وتصرفات وجنايات وعقوبات وغيرها مما يقصد بها تنظيم علاقة المكلفين بعضهم ببعض سواء أكانوا أفرادًا أم جماعات. وقد تنوعت أحكام المعاملات إلى الأنواع التالية:

Deen 321 (2015).indd 22 04/08/2016 13:07:50

- **أحكام الأحوال الشخصية**، وهي التي تتعلق بالأسرة وعلاقة الزوج بزوجته، والمحرمات من النساء، وأحكام الطلاق والظهار والعدة... الخ. وآياتها في القرآن ما يقرب من سبعين آية.
- **الأحكام المدنيّة**، وهي التي تتعلق بمعاملات الأفراد من بيع ورهن ومداينة وكفالة وإجارة وشركة ويقصد بها تنظيم علاقات الأفراد المالية. وآياتها في القرآن نحو سبعين آية.
- **الأحكام الجنائية**، وهي التي تتعلق بالجرائم والعقوبات، ويقصد بها حفظ حياة الناس وأموالهم وأعراضهم. وآياتها في القرآن نحو ثلاثين آية.
- **الأحكام الدولية**، وهي التي تتعلق بمعاملة الدولة الإسلامية مع غيرها من الدول في السلم والحرب، وبمعاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية. وآياتها نحو خمس وعشرين آية.
- **أحكام المرافعات**، وهي التي تتعلق بالقضاء وأدلة البينات، ويقصد بها تحقيق العدل بين الناس. وآياتها نحو ثلاث عشرة آية.
- **الأحكام الدستورية**. وهي التي تتعلق بنظام الحكم وأصوله، ويقصد بها تحديد علاقة الحاكم بالمحكوم، وبيان ما للأفراد والجماعات من حقوق. وآياتها نحو عشر آيات.

دلالة آيات القرآن الكريم:

تنقسم نصوص القرآن من جهة دلالتها على ما تضمنته من الأحكام قسمين هما:

الأول– القطعي الدلالة: وهو ما دل على معنى متعين فهمه منه ولا يحتمل تأويلا، ولا مجال لفهم معنى غيره مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ﴾[1]، فهذا قطعي الدلالة على أن فرض الزوجة الربع إن لم يكن لزوجها المتوفى ولد والثمن إن كان له ولد. وكقوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾[2]، وكقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾[3].

الثاني– الظني الدلالة: وذلك إذا كان النص محتملا لأكثر من معنى، ويمكن أن يراد منه أحد المعاني دون الآخر، لأن المراد منها غير متعين فصارت بهذا مجالا للبحث والاجتهاد، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في

١– سورة النساء، الآية ١٢.

٢– سورة النور، الآية ٢.

٣– سورة النور، الآية ٤.

Deen 321 (2015).indd 23 04/08/2016 13:07:51

عـدة المرأة المطلقة: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ فإنّ لفظ القـرء في اللغة مشترك بين معنـين فيطلق على الطهر وعلى الحيض، فالنص دلّ على أنّ المطلقات يتربصـن ثلاثة قروء فيحتمل أن يـراد ثلاثة أطهار ويحتمل أن يراد ثلاث حيضات، فهو ليس قطعي الدلالة على معنى واحد من المعنيين ولهـذا اختلـف المجتهدون في عدة المطلقة فمنهم من ذهب إلى أنهـا ثلاث حيضات، ومنهم من ذهب إلى أنها ثلاثة أطهار.

تنبيه:

قـد يكون النص القرآني قطعي الدلالـة باعتبار معين، وقد يكون ظني الدلالة باعتبـار. آخر فيكـون الحكم بالاعتبار الأول قطعيـاً، وبالاعتبار الثاني ظنيا. ومثـال ذلك قوله تعـالى: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾. فإنه يدل علـى قطعية أصل المسـح للرأس في الوضوء. وظنية المقدار الواجـب مسحه من الرأس؛ ولهذا نلاحـظ اتفاق الفقهاء على الحكـم الأول وهو مسـح الرأس واختلافهم في الحكم الثاني وهو المقدار الواجب مسحه من الرأس.

الفرق بين القسمين:

القطعي الدلالة	الظني الدلالة
بمنزلة العقائد، يكفر منكره	من أنكر فيه فهمًا تحتمله الآية كما تحتمل غيره لا يكون كافرا.
يجب على الجميع اتباعه	كل مجتهد يتبع فيه ما ترجّح عنده، كما أنّ المقلد يتبع فيه من شاء أن يقلده

تنبيه:

ترتـب على القسم الثاني مرونة في التشريع الإسلامي سايرت مختلف الأزمنة، وأوجـدت حلولاً عملية تراعي تطور المجتمعات البشرية. وما تعدد المذاهب الإسلامية واختلاف آراء الفقهاء إلا ثمرة من ثمار ذلك.

١- سورة البقرة، الآية ٢٢٨.

٢- سورة المائدة، الآية ٦.

Deen 321 (2015).indd 24 04/08/2016 13:07:51

التقـــويم

١– مصادر الشريعة الإسلامية هي:

أ) .....

ب) .....

ج) .....

د) .....

٢– تتنوع الأحكام الشرعية الواردة في القرآن الكريم إلى ثلاثة أنواع، بيّنها.

٣– اذكر متعلقات الأحكام التالية:

- أحكام الأحوال الشخصية.
- الأحكام الجنائية.
- الأحكام الدستورية.

٤– وضّح الفرق في المعنى بين قولنا: قطعي الثبوت، وقطعي الدلالة.

٥– قارن – في نقطتين – بين النص القرآني قطعي الدلالة، والنص القرآني ظني الدلالة.

٦– إيـت بدليلين من القرآن الكريم أحدهما ظني في دلالته علـى المعنى المراد، والآخر قطعي في دلالته على المعنى المقصود.

٧– قد يكون النص القرآني قطعي الدلالة باعتبار، وظني الدلالة باعتبار آخر. مثّل لذلك بمثال.

Deen 321 (2015).indd 25 04/08/2016 13:07:51

ثانياً- السنة النبوية الشريفة

السنة لغة:

مرَّ بك في مقرر القرآن الكريم والسنة النبوية (دين ١٠٣) أن السنة لغةً هي الطريقة والسيرة، سواء أكانت محمودة أم مذمومة.

وقد ورد استعمالها في القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي بهذا المعنى. ففي القرآن الكريم يقول الله تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾[١]. وقال رسول الله ﷺ: (**من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**)[٢].

السنة اصطلاحا:

عند علماء الأصول: ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

وعند الفقهاء: ما يقابل الفرض.

ويطلق لفظ السنة في مقابلة البدعة فيقال: فلان على سنة إذا عمل وفق ما عمل عليه النبي ﷺ، سواء كان ذلك مما نص عليه الكتاب أم لا. ويطلق على ما عمل عليه الصحابة رضوان الله عليهم، سواء وُجد ذلك في الكتاب والسنة أم لا لكونه اتباعًا لسنة ثبتت عندهم لم تُنقل إلينا، أو اجتهادًا مجمعًا عليه منهم. ويدل على هذا قوله ﷺ: (**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي**). وبالمقابل يقال: فلان على بدعة، إذا عمل على خلاف الكتاب أو السنة.

أقسام السنة بحسب ماهيتها وحقيقتها:

تنقسم السنة بحسب ماهيتها وحقيقتها ثلاثة أقسام:

١- **السنة القولية**: وهي الأحاديث التي قالها رسول الله ﷺ في المناسبات المختلفة والأغراض المتعددة مثل قوله ﷺ: (**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**)[٣].

١- سورة الإسراء، الآية ٧٧.

٢- رواه مسلم.

٣- متفق عليه.

Deen 321 (2015).indd 26 04/08/2016 13:07:51

٢- **السنة الفعلية**: وهي ما صدر عنه ﷺ من الأعمال كالصلاة والحج. وقد قال الرسول ﷺ: (**صلوا كما رأيتموني أصلي**)، وقال: (**خذوا عني مناسككم**).

٣- **السنة التقريرية**: وهي كل ما سمعه الرسول ﷺ أو رآه، أو بلغه عن أحد أصحابه، مما يقع من أمور الناس، وسكت عنه، أو أظهر علامة الرضا، و لم يبدُ عليه علامة إنكاره. والأمثلة على ذلك كثيرة منها إقراره صلوات الله وسلامه عليه اشتراك المرأة في القتال.

علاقة السنة بالقرآن الكريم:

السنة هي المصدر الثاني للتشريع وعلاقتها بالقرآن الكريم يمكن تلخيصها في أمور ثلاثة:

١- **أنها قد تأتي موافقة ومؤكدة حكمًا جاء في القرآن** كالأحاديث الداعية إلى التوحيد والناهية عن الشرك بالله وشهادة الزور وعقوق الوالدين. ومن أمثلة ذلك: عن جابر ﷺ قال: (**لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهده، وقال: هم سواء**)[١]، فقد جاء هذا الحديث مؤكداً لقوله تعالى: ﴿ **وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا** ﴾[٢].

٢- **أنها قد تأتي مبينة لمجمل الكتاب أو مخصصة لعامه أو مقيدة لمطلقه**. ومن أمثلة ما جاء مبينًا للمجمل الأحاديث التي بيّنت كيفية الصلاة وأوقاتها وعدد صلوات كل يوم وعدد ركعات كل صلاة. وكذلك الأحاديث التي بينت نصاب الزكاة في كل نوع من أنواع الزكاة، فإن هذه الأحاديث قد بينت الإجمال الوارد في قوله تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ** ﴾[٣].

ومن أمثلة تخصيص العام قوله ﷺ: (**لا يرث القاتل**) فإنه مخصص لعموم قوله تعالى: ﴿ **يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ** ﴾[٤]؛ لأن الآية تدلّ على أن كل ولد وارث سواء كان قاتلاً أو غير قاتل، فجاءت السنة وخصصت هذا العموم بغير القاتل.

ومثل تقييد المطلق، تقييده عليه الصلاة والسلام اليد في قوله تعالى: ﴿ **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[٥] بيد السارق اليمنى من الرسغ.

١- أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي.

٢- سورة البقرة، من الآية ٢٧٥.

٣- سورة البقرة، الآية ٤٣.

٤- سورة النساء، الآية ١١.

٥- سورة المائدة، الآية ٣٨.

Deen 321 (2015).indd 27 04/08/2016 13:07:51

٣- **أنها قد تعرض أحكاما جديدة**، فتكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه، أو محرمة لما سكت عن تحريمه. ومن أمثلة ذلك: تحريم لحوم الحمر الأهلية، وتحريم كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير، ووجوب زكاة التجارة.

حجية السنة:

السنة هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، وجاحد العمل بها كافر بإجماع الأمة لأنه جاحد لأمر الله. وقد نبه الرسول الكريم إلى خطورة ترك العمل بسنته، وبيّن أن السنة أساسٌ في فهم الإسلام وتطبيقه والتزام مبادئه، وأن المسلم لا يكون مسلماً إذا ترك السنة، فقال ﷺ: **(يوشكُ أن يقعدَ الرجل متكئاً على أريكته، يحدّث بحديثٍ من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه، ألا وإن ما حرّم رسولُ الله مثلُ ما حرم الله)**[١].

ويمكن تلخيص الأدلة من القرآن على حجية السنة وأنها مصدر للتشريع فيما يلي:

أ) التصريح بأن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى وإنما هو وحي من الله. قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ**﴾[٢].

ب) الأمر بطاعة الرسول ﷺ. قال تعالى: ﴿**قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ**﴾[٣].

ج) جعل طاعة الرسول ﷺ طاعة لله عزّ وجلّ. قال تعالى: ﴿**مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ**﴾[٤].

د) الأمر باتباع ما يأتينا به الرسول ﷺ. قال تعالى: ﴿**وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟**﴾[٥].

هـ) وجوب رد كل ما يُتنازع فيه بين المسلمين إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ. قال تعالى: ﴿**فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾[٦].

١- رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

٢- سورة النجم، الآية ٣.

٣- سورة آل عمران، الآية ٣٢.

٤- سورة النساء، الآية ٨٠.

٥- سورة الحشر، الآية ٧.

٦- سورة النساء، الآية ٥٩.

Deen 321 (2015).indd 28 04/08/2016 13:07:51

مرتبة السنة في التشريع:

مرتبة السنة في التشريع تلي مرتبة القرآن الكريم، بحيث أن المجتهد يرجع إلى السنة للبحث عن حكم واقعة إذا لم يجد في نصوص القرآن حكم تلك الواقعة؛ لأن القرآن الكريم أصل التشريع الإسلامي ومصدره الأول.

ومما يؤكد أن مرتبة السنة تلي مرتبة القرآن، حديث معاذ بن جبل ﷺ عندما أرسله الرسول ﷺ قاضياً إلى اليمن حيث بيّن معاذ ﷺ أن السنة النبوية الشريفة هي مرجعه الثاني بعد القرآن في معرفة أحكام الإسلام.

نشاط:

ابحث عن هذا الحديث، وناقشه مع زملائك في الصف.

Deen 321 (2015).indd 29 04/08/2016 13:07:51

التقـــويم

١- عرّف السنة لغةً واصطلاحا.

٢- صنف ما يأتي وفقا لماهيّة السنة وحقيقتها:

- موافقة الرسول ﷺ لما فعله أحد الصحابة عند عدم إعادته الصلاة التي صلاها بتيمم ثم وجد الماء. ( )
- قال رسول الله ﷺ: من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرّم عليه الجنة. فقال له رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ قال: «وإن كان قضيبًا من أراك». ( )
- البيوع التي تولاها النبي ﷺ. ( )

٣- وضّح معنى كلمة "سنة" فيما يأتي:

- قراءة سورة قصيرة بعد الفاتحة في الصلاة سنة.
- السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي.

٤- يدعو البعض إلى الاقتصار على كتاب الله في التشريع. فما رأيك في هذه الدعوة؟ وكيف ترد عليها؟

٥- بيّن ثلاثة من الأدلة على حجية السنة وأنها مصدر من مصادر التشريع.

اختر أحد النشاطين الآتيين:

١- ارجع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، واستخرج منه الآيات التي تشتمل على كلمة "سنة".

٢- عد إلى كتاب أصول الفقه للإمام محمد أبو زهرة، واكتب منه عن مقام السنة بالنسبة للقرآن الكريم.

Deen 321 (2015).indd 30 04/08/2016 13:07:51

ثالثـــاً- الإجمـــــاع

معنى الإجماع في اللغة:

الإجماع في اللغة يحتمل معنيين:

الأول: الاتفاق، يقال أجمع القوم على كذا أي اتفقوا عليه.

والثاني: العزم على الأمر، يقال: أجمع فلان على كذا، أي عزم عليه. وفي الحديث: «**من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له**»[1] أي من لم يعزم عليه.

معنى الإجماع في الاصطلاح:

الإجماع اصطلاحا: اتفاق جميع مجتهدي الأمة بعد النبي ﷺ على حكم شرعي لأمر من الأمور.

فـإذا وقعت حادثة وعُرضت على جميع المجتهدين من الأمـة الإسلامية واتفقوا على حكم واحد فيها سمـي اتفاقهـم إجماعًا، واعتبر إجماعهم على حكـم واحد فيها دليلاً على أن هـذا الحكم هو الحكم الشرعي في تلك الواقعة.

وقيـل في التعريف «بعد النبي ﷺ»؛ لأنه لا وجود للإجماع في حياة الرسول ﷺ، لأن الرسول ﷺ إما أن يوافـق المجمعين أو يخالفهم، فإن وافقهم على الحكم، ثبت الحكـم بالسنة لا بالإجماع، وإن خالفهم فلا عبرة باتفاقهم ولا يكون إجماعا.

أركان الإجماع:

١- وجود عدد من المجتهدين في عصر وقوع الحادثة، فلو خلا وقت من وجود عدد من المجتهدين أو وُجد مجتهد واحد فلا ينعقد الإجماع.

٢- أن يتفـق جميع المجتهدين من المسلمين على الحكم الشرعي في الواقعة، لأن الإجماع لا ينعقد إلا باتفاق جميع المجتهدين حول حادثة ما.

٣- يكـون الاتفاق بإبـداء كل واحد منهم رأيه صريحًـا في الواقعة. سواء أكان إبداء الـرأي منفردًا أم بوجود الجميع.

١- رواه الترمذي.

Deen 321 (2015).indd 31 04/08/2016 13:07:51

حجية الإجماع:

يعتبر الإجماع حجة شرعية، والدليل على ذلك ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[١]، فكما أمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله أمرهم بطاعة أولي الأمر منهم، ولفظ الأمر عام يشمل الأمر الديني والأمر الدنيوي، وأولو الأمر الدنيوي هم الحكام المسلمون وأولو الأمر الديني هم المجتهدون وأهل الفتيا. فإذا أجمع أولو الأمر في التشريع وهم المجتهدون على حكم وجب اتباعه وتنفيذ حكمهم امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[٣]. فهذا النص يُحرِّم اتباع سبيل غير المؤمنين، وإذا كان اتباع غير سبيل المؤمنين حرامًا فإن اتباع سبيل المؤمنين واجب.

٣- الأحاديث الواردة بأن الأمة لا تجتمع على ضلالة، وبأن ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن. قال رسول الله ﷺ: (لا تجتمع أمتي على ضلالة)[٤].

٤- أجمعت الأمة الإسلامية منذ وفاة الرسول ﷺ إلى الآن على أن الإجماع يعتبر حجة شرعية، ولا يعقل أن تجتمع هذه الأمة، التي هي أكرم الأمم على الله تعالى، على أمر يخالف الشريعة.

أنواع الإجماع:

أ- الإجماع من جهة الدلالة على حكمه نوعان:

١- القطعي: وهو ما يُعلم وقوعه من الأمة بالضرورة، كالإجماع على الصلوات الخمس والحج والزكاة وتحريم الزنا. وهذا النوع لا أحد ينكر ثبوته ولا كونه حجة، ويكفر مخالفه إذا كان ممن لا يجهله.

١- من الآية ٥٩ من سورة النساء.

٢- من الآية ٨٣ من سورة النساء.

٣- الآية ١١٥ من سورة النساء.

٤- رواه الترمذي.

Deen 321 (2015).indd 32 04/08/2016 13:07:51

٢- **الظني**: وهو ما لا يعلم إلا بالتتبع والاستقراء. وقد اختلف العلماء في إمكان ثبوته، وأرجح الأقوال في ذلك رأي شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: «والإجماع الذي ينضبط ما كان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة».

ب- من جهة كيفية حصوله نوعان:

١- **الإجماع الصريح**: وهو أن يتفق مجتهدو العصر على حكم واقعة بإبداء كل منهم رأيه صراحةً بفتوى أو قضاء، أي أن كل مجتهد يصدر منه قول أو فعل يعبر صراحةً عن رأيه.

مثال ذلك: أن يصلوا على الجنازة بأربع تكبيرات لا يزيد بعضهم عليها ولا ينقص. أو يتفقوا على ترك شيء نحو أن يتركوا الأذان في صلاة العيد أو نحو ذلك، فيكون إجماعاً على أنه غير واجب فيه، **وهذا الإجماع حجة شرعية في مذهب الجمهور.**

٢- **الإجماع السكوتي**: وهو أن يبدي بعض مجتهدي العصر رأيهم صراحةً في الواقعة بفتوى أو قضاء، ويسكت باقيهم عن إبداء رأيهم فيها بموافقة ما أبدي فيها أو مخالفته. كما إذا قال بعضهم: صلاة الكسوف مشروعة. فانتشر هذا القول فيهم و لم ينكره أحد منهم، كان إجماعًا على شرعيتها.

وفي هذا النوع من الإجماع خلاف:

فقيل: يكون إجماعًا.

وقيل: يكون حجةً لا إجماعًا.

وقيل: ليس بإجماع ولا حجة.

وقيل: إذا قال بعض المجتهدين قولاً أو فعلاً واشتهر ذلك بين أهل الاجتهاد و لم ينكروه مع قدرتهم على الإنكار وانقرضوا قبل الإنكار فهو إجماع؛ لأن استمرار سكوتهم إلى الانقراض مع قدرتهم على الإنكار دليل موافقتهم. **وهذا أقرب الأقوال.**

نماذج من التشريع به:

١. حين فتح المسلمون العراق والشام في عهد الخليفة الثاني عمر من الخطاب ﷺ رأى بعض الصحابة تقسيم الأراضي على الفاتحين، ورأى آخرون من بينهم عمر عدم تقسيم الأراضي على الفاتحين ووقفها على المسلمين، وتركها بأيدي أهلها، مع وضع الخراج عليها فيكون موردًا للمسلمين ينفق

Deen 321 (2015).indd 33 04/08/2016 13:07:52

منــه على الجند والعمال والقضاة والأرامــل واليتامى والمحتاجين وينتفع به أول المسلمين وآخرهم.

وبعــد أن احتدت المناقشة أقروا الرأي الثاني وهو عدم التقسيــم وصدر إجماع من الصحابة بذلك الحكم.

٢. بطلان زواج المسلمة بغير المسلم.

٣. الإخوة والأخوات لأب يقومون في الميراث مقام الأشقاء إن لم يكن أشقاء.

٤. تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها.

٥. تحريم الانتفاع بشحم الخنزير.

٦. توريث الجدة أو الجدات السدس في الميراث.

٧. حجب ابن الابن من الإرث بالابن.

Deen 321 (2015).indd 34 04/08/2016 13:07:52

التقـــويم

١– عرّف الإجماع لغة واصطلاحا.

٢– ثبتت شرعية الإجماع بالقرآن والسنة وإجماع الأمة. وضّح ذلك من خلال الأدلة.

٣– للإجماع أركان هي:

- .....
- .....
- .....

٤– ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي مع التعليل:

( ) ندرة المخالفين أو مخالفة مجتهد واحد لا تؤثر في تحقق الإجماع.

( ) لو لم يكن في العصر إلا مجتهد واحد رأى في أمر رأيًا كان قوله إجماعا.

( ) لا عبرة بموافقة غير المجتهدين أو مخالفتهم في الإجماع.

( ) لا وجود للإجماع في حياة الرسول ﷺ.

( ) اتفاق مجتهدي الحرمين فقط على الحكم الشرعي في واقعة ينعقد به الإجماع.

٥– بيّن أنواع الإجماع من حيث دلالته على الحكم.

٦– يـرى بعض العلماء أن الإجماع السكوتي ليس إجماعًا، بينما يرى آخرون من العلماء أنه إجماع. ابسط القول في هذه المسألة مع توضيح ما تعتقد أنه الأكثر صوابا.

٧– اذكر بعض النماذج للتشريع بالإجماع.

اختر أحد النشاطين الآتيين:

١– عد إلى كتاب أصول الفقـه الإسلامي للدكتور بدران أبو العينين واذكر منه بعض النماذج للتشريع بالإجماع.

٢– عـد إلى كتاب أصول الفقه للإمام محمد أبـو زهرة واستخرج منه بعض شروط الإجماع.

Deen 321 (2015).indd 35 04/08/2016 13:07:52

رابعـــاً- القيـــاس

القياس لغة:

التقديـر والمســاواة، يقال: قستُ الثوب بالمتر. أي: قدرتُه به. كما يقال: فلان لا يقاس بفلان في علم أو خلق أو دين. أي: لا يساويه.

واصطلاحاً:

إلحاق أمر بآخر في الحكم الشرعي لاتحاد بينهما في علة ذلك الحكم.

فـإذا ورد في كتاب الله أو سنـة رسول الله ﷺ أو انعقد الإجماع على حكم من الأحكام، ونظر المجتهد في هـذا الحكـم فتوصل إلى العلة والمعنـى الذي من أجله شُرع ذلك الحكم، ثـم عرضت للمجتهد بعد ذلك حادثة لم يرد حكمها في نص ولا إجماع، لكن توجد فيها تلك العلة التي توصل إليها المجتهد في الحكم المنصوص أو المجمع عليه، فحينئذ يُلحق المجتهد غير المنصوص عليه بما نصّ عليه ويسوّي بينهما في الحكم لاشتراكهما في علة ذلك الحكم.

نماذج من التشريع به:

١- قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[1]، فدلـت الآيتـان علـى تحـريم الخمـر، وبيّنت الآيـة الثانية العلة التي من أجلها حرّمت وهي المفاسـد الدينية والدنيوية التي تنشأ عن الإسكار.

فـإذا عرض للمجتهد حكم النبيـذ أو أي شراب آخر فوجد أنه مسكر وأنـه تتحقق فيه علة الخمر فيحكـم بحرمة النبيذ أيضًا بالقياس على الخمر، فيكون الخمـر مقيسًا عليه وأصلا، والنبيذ مقيسًا وفرعا، والإسكار هو العلة المشتركة بين المقيس والمقيس عليه، والتحريم هو حكم القياس.

١- الآيتان ٩٠، ٩١ من سورة المائدة.

٢- رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي وأبو داود وأحمد.

Deen 321 (2015).indd 36 04/08/2016 13:07:52

٢- قال رسول الله ﷺ: (**لا يرث القاتل**)، فدلّ هذا الحديث على حرمان الوارث الذي قتل مورثه، من الميراث. وقد بحث المجتهد عن علة هذا الحرمان فوقف على أن علة النهي هي أنّ القاتل استعجل الميراث قبل أوانه فعاقبه الشارع بحرمانه.

ثم عرض للمجتهد حكم قتل الموصى له الموصي و لم يرد في حكم ذلك نص ولا إجماع، ووجد أن الموصى له إذا قتل الموصي يكون مستعجلاً الشيء قبل أوانه وهي نفس العلة التي من أجلها حرم من قتل مورثه من الميراث، فقاس قتل الموصى له الموصي على من قتل مورثه لاشتراكهما في العلة وهي استعجال الشيء قبل أوانه، فيكون قتل الوارث مورثه هو الأصل المقيس عليه، وقتل الموصى له الموصي هو الفرع أو المقيس، واستعجال الشيء قبل أوانه هو العلة التي شرع الحكم لأجلها، والحرمان من الحق بعد ثبوت سببه هو الحكم.

٣- قال الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ** ﴾[1]، فقد نهت الآية عن البيع وقت النداء لصلاة الجمعة لعلة هي الشغل عن الصلاة.

ولما كانت الإجارة والرهن وغيرها من العقود والأعمال إذا مارسها الشخص وقت النداء لصلاة الجمعة توجد فيها العلة المذكورة، وهي الشغل عن الصلاة، فتأخذ هذه العقود حكم البيع وقت النداء وتكون مكروهة. فالبيع وقت النداء هو الأصل أو المقيس عليه، والإجارة والرهن وقت النداء الفرع أو المقيس، والشغل عن الصلاة هو العلة، والكراهة هي الحكم.

أركانه:

من الأمثلة السابقة يتضح أن للقياس أربعة أركان هي:

١. **الأصل**: وهو ما ورد بحكمه نص ويسمى **المقيس عليه**.
٢. **الفرع**: وهو ما لم يرد بحكمه نص، ويراد تسويته بالأصل في حكمه ويسمى **المقيس**.
٣. **الحكم**: وهو الحكم الشرعي الذي ورد به النص في الأصل، ويراد أن يكون حكمًا للفرع.
٤. **العلة**: وهي الوصف الذي بُني على حكم الأصل وبناء على وجوده في الفرع يسوّى بالأصل في حكمه.

١- الآية ٩ من سورة الجمعة.

Deen 321 (2015).indd 37 04/08/2016 13:07:52

حجيته:

مذهب جمهور علماء المسلمين أن القياس حجة شرعية، وأنه في المرتبة الرابعة من الحجج الشرعية بعد القرآن والسنة والإجماع.

فإذا لم يوجد في الواقعة حكم بنص أو إجماع، وثبت أنها تساوي واقعة نصّ على حكمها في علة هذا الحكم فإنها تقاس بها ويحكم فيها بحكمها، ويكون هذا حكمها شرعا.

وقد دلّ على اعتبار القياس دليلاً شرعيًا: الكتاب والسنة وأقوال الصحابة:

فمن أدلة الكتاب:

١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[١].

فـالله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين عند التنازع والاختلاف في شيء ليس لله ولا لرسوله حكم صريح فيه أن يردوه إلى الله والرسول. ومعنى الرد إلى الله والرسول: إرجاع المختلف فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فيلحق النظير بنظيره، ولا يتحقق ذلك إلا بالقياس.

٢- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[٢].

وموضع الاستدلال قوله سبحانه وتعالى: (فاعتبروا)، ووجه الاستدلال أن الله جل وعلا بعد أن قصّ ما كان من بني النضير وبيّن ما حلّ بهم قال: (فاعتبروا يا أولي الأبصار)، أي فاتعظوا بما نزل بهم، وقيسوا أنفسكم بهم واحذروا أن تفعلوا مثل فعلهم فيحلّ عليكم من العقاب مثل ما حلّ بهم.

ومن أدلة السنة:

١. ما ثبت أنّ رسول الله ﷺ لما أرسل معاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن قاضيًا لهم قال له: (**بم تحكم؟ قال: بكتاب الله. قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله. قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي لا آلو (لا أقصّر). فقال ﷺ: الحمد لله الذي وفّق رسول رسول الله إلى ما يرضي الله ورسوله**)[٣]. فقد أقرّ الرسول ﷺ معاذًا على قوله: (أجتهد

١- الآية ٥٩ من سورة النساء.

٢- الآية ٢ من سورة الحشر.

٣- رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد.

Deen 321 (2015).indd 38 04/08/2016 13:07:52

رأيي) و لم ينكر عليه، بل امتدحه وحمد الله على توفيق معاذ على ما يرضي الله ورسوله.

٢. وفي الحديث عن ابن عباس، عن أخيه الفضل، أنه كان رِدْف رسول الله ﷺ غداة النحر، فأتته امرأة من خثعم. فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله في الحج على عباده، أدركت أبي شيخاً كبيراً، لا يستطيع أن يركب. أفأحج عنه؟ قال: نعم، فإنّه لو كان على أبيك دين قضيته[١].

٣. وفي الحديث: جاء رجل من بني فزارة إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: إنّ امرأتي ولدت غلاماً أسود. فقال رسول الله ﷺ: هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: فما ألوانها؟ قال: حُمْر. قال:هل فيها من أورق[٢] قال: إنّ فيها لورقاً. قال: فأنّى أتاها ذلك؟ قال: عسى عرق نزعها. قال: وهذا لعل عرقاً نزعه[٣].

ومن آثار الصحابة:

١. قاس الصحابة الخلافة على إمامة الصلاة، وبايعوا أبا بكر ﷺ بها، وبيّنوا أساس القياس بقولهم: رضيه رسول الله ﷺ لديننا أفلا نرضاه لدنيانا؟

٢. وقاس أبو بكر ﷺ الزكاة على الصلاة وقال: لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة.

٣. وقال علي ﷺ في عقوبة شارب الخمر: «إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، وحد المفتري ثمانون.

٤. وقد تردد عمر في قتل الجماعة بالواحد فاستشار عليًا في قتلهم فقال له علي: أرأيت يا أمير المؤمنين لو أن نفراً اشتركوا في سرقة جزور[٤] فأخذ هذا عضواً وهذا عضواً أكنت قاطعهم؟ قال: نعم.

٥. ما جاء عن عمر بن الخطاب ﷺ في كتابه إلى أبي موسى الأشعري في القضاء قال: ثم الفهم الفهم فيما أدلي إليك مما ورد عليك مما ليس فيه قرآن ولا سنة، ثم قايس بين الأمور عند ذلك واعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق.

١– رواه ابن ماجه.

٢– الأورق من كل شيء ما كان لونه لون الرماد. والأورق من الإبل ما في لونه بياض إلى سواد.

٣– رواه ابن ماجه.

٤– ما يصلح لأن يذبح من الإبل.

Deen 321 (2015).indd 39 04/08/2016 13:07:52

شـروطه:

للقياس شروط، منها:

١. أن لا يصادم دليلاً أقوى. فلا اعتبار بقياس يصادم النصّ أو الإجماع.

٢. أن يكون حكم الأصل ثابتًا بنص أو إجماع، فإن كان ثابتاً بقياس لم يصح القياس عليه، وإنما يقاس على الأصل الأول.

مثـال ذلك: لا يصح أن يقال: حرم نبيذ التفـاح قياسًا على نبيذ الزبيب الثابت حكمه بالقياس على الخمر، ويكون تحريمه بالقياس على الخمر لا على نبيذ الزبيب.

٣. أن يكون حكم الأصل غير مختص بالنبي ﷺ.

ومثـال ذلـك: ما ثبت خاصًـا برسول الله ﷺ بأن يجمـع أكثر من أربع زوجـات في عصمته لحكم جليلة. فلا يصحّ أن يقاس عليه غيره.

٤. أن يكون لحكم الأصل علة يمكن إدراكها بالعقل؛ لأن أساس القياس إدراك علة حكم الأصل وإدراك تحققها في الفرع. فالأحكام نوعان:

أ – أحـكام استأثـر الله بعلم عللها ليختـبر عباده هل يمتثلون ولو لم يدركـوا العلة التي بني عليها الحكم؟ وتسمى هذه الأحكام التعبدية. ومثال ذلك: الحدود والعبادات وفروض الإرث، فهذه الأحكام لا قياس فيها لأنها أحكام استأثر الله بعلم عللها.

ب – أحكام لم يستأثر الله بعلم عللها، بل أرشد إلى عللها بنصوص أو بدلائل أخرى وتسمى: الأحـكام المعقولة المعنـى وهذه يمكن أن تعدى مـن الأصل إلى غـيره بواسطة القياس كتحـريم شرب الخمر الذي عُـدي بالقياس إلى شرب أي نبيـذ مسكر، وتحريم الربا في القمح والشعير الذي عُدي بالقياس إلى الأرز والذرة.

Deen 321 (2015).indd 40 04/08/2016 13:07:52

التقـــويم

١– ما العلاقة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي للقياس؟

٢– من خلال تعريفك الاصطلاحي للقياس، استخرج أركانه.

٣– ايت بثلاثة أمثلة على أحكام شرعية لأمور محددة تمت بواسطة القياس.

٤– ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

( ) يعتبر القياس مصدراً من مصادر التشريع.

( ) تدرك العلة بواسطة النصّ ولا يجوز تأويلها بالعقل.

( ) يجوز قياس حادثة في الحكم على حادثة أخرى عُرف حكمها بالقياس.

( ) ليس ضرورياً أن يكون للأصل المقيس عليه علّة ظاهرة لإلحاق المقيس به في الحكم.

٥– ثبتت شرعية القياس بالقرآن والسنة وآثار الصحابة، اذكر دليلاً واحدًا من كل منها.

٦– من شروط القياس: أن يكون حكم الأصل غير مختص به ﷺ. ما المقصود بهذا الشرط؟ مثل على ذلك.

النشاط:

ارجع إلى كتاب: إعلام الموقعين، للإمام ابن القيم الجوزية واستخرج منه أمثلة أخرى للقياس غير التي وردت في هذا الدرس.

Deen 321 (2015).indd 41 04/08/2016 13:07:52

Deen 321 (2015).indd 42 04/08/2016 13:07:52

الفصل الثـانـي:

أصـــول الفـقـــه

Deen 321 (2015).indd 44 04/08/2016 13:07:52

الفقــه وأصــولــه

تعريف الفقه:

الفقــه في اللغة يعني الفهم: تقول: فقهتُ المسألــة. إذا فهمتها. والآية الكريمة التالية تشير إلى هذا المعنى بوضوح. قال تعالى: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾[1].

أما معنى الفقه في الاصطلاح الشرعي فهو: العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية.

- والمراد بالأحكام الشرعية: هي الأحكام الصادرة عن الله تبارك وتعالى: من أوامر ونواه ونظم عملية تنظم حياة الناس وعلاقاتهم، وتحدّد نتائج أعمالهم.
- وأما وصفها بالعملية: فالهدف من هذا الوصف إخراج المسائل الاعتقادية كأركان الإيمان، حيث إن موضوعها هو علم آخر مستقل بذاته.

ومــن بــين ما عني به فقهاء الشريعة الإسلامية أنهم وضعوا قواعد عملية دقيقة استخدموها في استخراج الأحــكام الشرعية من أدلتهــا المعروفة وهي القرآن والسنة، والإجمــاع والقياس، وسموا تلك القواعد أصول الفقه.

تعريف أصول الفقه:

وعلى هذا يكون علم أصول الفقه هو: مجموعة القواعد الفقهية التي يستعان بها على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية.

من أول من وضع قواعد أصول الفقه؟

إذا رجعنــا إلى الواقــع، فإننــا نجــد أن الفقهاء كانــوا يستخدمون قواعــد معينة يبنون عليهــا أحكامهم ويلاحظونهــا عنــد الاستنباط. فهذا سيدنا علي كــرم الله وجهه يستنبط حد شــارب الخمر بأنه ثمانون جلــدة استنباطــاً وبناءً على قاعدة عقليــة، في أن شارب الخمــر إذا شرب هذى وإذا هــذى افترى (أي كــذب)، ومن يهــذي قد يتعرض إلى أعراض الناس بالقذف. ولمــا كان الحد للقاذف هو ثمانين جلدة، فإن حد شارب الخمر ثمانون جلدة كذلك.

١- سورة هود، من الآية ٩١.

Deen 321 (2015).indd 45 04/08/2016 13:07:52

لكن تلك القواعد التي كان يستخدمها الفقهاء كانت تأتي عرضًا، فهي غير منظمة، وغير مجموعة بحيث يستطيع الفقيه الرجوع إليها، فجاء الإمام الشافعي ﷺ، ووضع تلك القواعد وهذّبها وشذّبها وبوّبها، مما ساعد الفقهاء على استخدامها فآتت ثمراتها تطويراً للفقه وإثراء لموضوعاته، وتسهيلاً على الفقهاء في التوصل إلى الأحكام الشرعية، ومساعدة للأمة في التعرف على حكم الشرع في كل معاملاتهم وعلاقاتهم.

فالفقه الإسلامي إذن بأصوله وقواعده ومذاهبه، هو المصدر الأعظم للتقنين والتشريع في مختلف العصور، وكتبه ومصنفاته هي المراجع الأصلية لكل من أراد أن يستقي من المنابع الصافية الشافية.

مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي:

من مزايا الفقه الإسلامي أنه نظام روحي ومدني معاً؛ لأن الشرع الإسلامي جاء منظماً لأمور الدين والدنيا. ومن هنا افترق الفقه الإسلامي حتى في القسم المدني منه – وهو المعاملات – عن القوانين المدنية الوضعية (التي هي من وضع الناس أنفسهم).

ففي تلك القوانين الوضعية لا محل لفكرة الحلال والحرام، ولا عبرة لبواطن الأمور، بل العبرة للظواهر. أما الفقه الإسلامي فللاعتبار الديني في مبناه كانت فكرة الحلال والحرام فيه رقيباً باطنياً ترافق الإنسان في كل عمل يقوم به.

فإذا قضي لإنسان بحق بناء على سبب ظاهر وكان في الواقع غير محق: كما لو كان الشهود كذبة، فإن القضاء في مثل ذلك لا يُحل حراماً ولا يُحرم حلالاً، لأن الحل والحرمة يجب أن يكونا مستندين إلى سبب صحيح في نظر الشرع وفقهه. والأصل في ذلك قول النبي ﷺ: **(إنما أنا بشر، وإنكم لتختصمون إليّ وعسى أن يكون بعضكم ألحن بحجته من الآخر، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيتُ له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها)**[1].

١– رواه البخاري ومسلم وغيرهما بألفاظ متقاربة. ومعنى (ألحن بحجته): أفطن وأحسن بياناً لها.

Deen 321 (2015).indd 46 04/08/2016 13:07:52

التقـــويم

١- يعـرف الفقــه في الاصطلاح الشرعـي بأنه "العلم بالأحـكام الشرعية العمليــة المستنبطة من أدلتها التفصيلية". فما ثمرة تقييد الأحكام بأنها: شرعية؟ وبأنها: عملية؟

٢- ماذا تسمى القواعد التي يستعان بها على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها؟

٣- أيهما أسبق وجوداً الفقه أم علم أصول الفقه؟

٤- أول من وضع لعلم أصول الفقه قواعد منظمة ومبوبة هو:

- الإمام القرافي رحمه الله.
- ابن خلدون رحمه الله.
- الإمام الشافعي رحمه الله.

٥- مــاذا تستنتج من قــول ابن خلدون رحمه الله: (علم أصول الفقه علم فريد من نوعه في شرائع الأمم قاطبة).

٦- اذكر ميزتين للفقه الإسلامي تميزانه على غيره من التشريعات الوضعية.

Deen 321 (2015).indd 47 04/08/2016 13:07:52

الحكم الشرعي

تعريف الحكم الشرعي:

الحكم في اللغة: القضاء.

والحكم في الاصطلاح الشرعي هو: خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل طلب الفعل، أو تركه، أو التخيير بين الفعل والترك[١].

والمراد بخطاب الله هنا: الوصف الذي يعطيه الله سبحانه وتعالى لفعل المكلف، كأن يوصف الفعل بأنه: واجب، أو مندوب، أو مباح، أو مكروه، أو حرام. أو يقال بأنه صحيح أو باطل.

ويقصد بأفعال المكلفين: كل ما عدّه العُرف فعلاً سواء أكان من أفعال القلوب كالإيمان بالله تعالى، أم من أفعال الجوارح كالسرقة، والكذب، والغيبة، والنميمة، وشهادة الزور.

والمراد بالمكلفين: جمع مكلف، والمكلف كل ذكر أو أنثى قد بلغ سنّ البلوغ وكان عاقلا. وعلى هذا فلا يعد الصغير – مميزًا كان أو غير مميز – والمجنون مكلفين.

تنبيه:

إن المطلوب في الحكم الشرعي أمر مقدور عليه للمكلف، ولا يخرج عن استطاعته؛ كالوفاء بالعقود، وكتابة الدين، والإشهاد عليه ... الخ. فلا تكليف إلا بمقدور، ولا تخيير إلا بين مقدور ومقدور. وهذا من يسر الإسلام وسهولته. قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٢].

أقسام الحكم الشرعي:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الحكم الشرعي يتنوع إلى أنواع خمسة هي: (الوجوب، والندب، والحرمة، والكراهة، والإباحة)[٣].

١– ارشاد الفحول للشوكاني، ص ٦.

٢– سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

٢– الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ج١ ص١٣٦.

Deen 321 (2015).indd 48 04/08/2016 13:07:53

ويسمى فعل المكلف الذي هو متعلق بهذه الأحكام وأثرها: (واجبا، أو مندوبا، أو محرما، أو مكروها، أو مباحا):

- ذلك أن طلب الشارع على سبيل الجزم هو: **الإيجاب**.
- وطلبه بلا جزم هو: **الندب**.
- ونهيه على سبيل الجزم هو: **التحريم**.
- ونهيه إن كان بلا جزم هو: **الكراهة**.
- وإن جعل الشارع المكلف مخيرًا بين الفعل والترك فهو: **الإباحة**.

لاحظ أن:

١. الفعل الذي يطلب الشارع القيام به، وإيقاعه على نوعين هما: (الواجب، والمندوب).
٢. الفعل الذي يطلب الشارع تركه والكفَّ عنه على نوعين أيضا هما: (المحرم، والمكروه).
٣. الفعل الذي يُخيّر المكلف بين القيام به وتركه، لا يتعدى نوعًا واحدًا هو: (المباح).

وسنعرض لكل واحد من الأنواع الخمسة فيما يلي:

١. الواجب

تعريفه:

الواجب هو: (ما ألزم الشارع المكلف بفعله على وجه يُشعر بالذم على تركه وعدم الالتزام به).

وخطاب الإلزام يكون على صور متعددة:

- فقد يكون بمادة الإلزام نفسها التي تفيد الوجوب كما في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [١]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ [٢]. فمعنى كُتب عليكم: وجب وفُرض عليكم.

١- سورة البقرة، الآية ١٨٣.

٢- سورة البقرة، الآية ٢١٦.

Deen 321 (2015).indd 49 04/08/2016 13:07:53

وكما في قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [١]. أي أوجبنا العمل بما فيها من أحكام. وكما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [٢]. فإن قضى تعني: أوجب وفرض.

- وقد يكون الخطاب بصيغ الأمر على إطلاقها، وعدم وجود قرينة تصرفها عن الوجوب، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [٣]، ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [٤].
- وقد يكون الخطاب بالتوعد على الترك، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [٥]، ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [٦]. **وأكثر الواجبات ترد على هذه الصورة في نصوص الكتاب والسنة.**

أقسام الواجب:

قسم العلماء الواجب عدة أقسام، كل قسم منها على اعتبار معين:

١. **فهو يقسّم باعتبار وقت الأداء إلى: واجب مطلق من الزمان، وواجب مقيّد بالزمان:**

أ- **فالواجب المطلق من الزمان هو:** ما طلب الشارع فعله دون تعيين وقت محدد لأدائه، مثل أداء الكفّارات والنذور.

ب- **أما الواجب المقيد بزمان فهو:** ما طلب الشارع فعله مع تعيين وقت محدد لأدائه، مثاله: الصلوات الخمس، فقد جعل الله لكل منها وقتًا محددًا لأدائها.

وحكمه:

- إذا قام به المكلف في وقته - مستوفيًا لجميع أركانه وشروطه - سمي فعله: **(أداء)**.
- وإذا قام به المكلف بعد خروج وقته الذي حدده الشارع سمي فعله: **(قضاء)**، كمن صلى الفجر بعد طلوع الشمس.

١- سورة النور، الآية ١.

٢- سورة الإسراء، الآية ٢٣.

٣- سورة البقرة، الآية ٤٣.

٤- سورة الحج، الآية ٢٩.

٥- سورة الإسراء، الآية ٣٤.

٦- سورة البقرة، الآية ٢٢٩.

Deen 321 (2015).indd 50 04/08/2016 13:07:53

٢. **ويقسّم الواجب باعتبار المكلف بأدائه إلى: واجب عيني، وواجب كفائي:**

أ – **فالواجب العيني هو**: الذي يطلب الشارع فعله من كل واحد من المكلفين بعينه. وسمي عينيًا؛ لأن كل واحد من المكلفين يتوجه إليه الخطاب بعينه.

مثاله:

الفرائض المطلوبة كالصلاة والصيام، واجتناب الربا. ويسمى (**فرض عين**).

وحكمه:

أن كل واحد من المكلفين، يُلزم بالإتيان به، ولو قام به البعض لا يسقط عن الباقين.

ب– **أما الواجب الكفائي فهو**: الذي يطلب الشارع فعله من مجموع المكلفين، وليس من كل فرد منهم. ويسمى (**فرض كفاية**).

مثاله:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصلاة على الجنازة، وغير ذلك.

وحكمه:

إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وارتفع الإثم عن الجميع، ولكن إذا لم يأت به أحد من المكلفين، كانوا آثمين جميعا[١].

٢. المنـــدوب

تعريفه:

المندوب هو: (ما طلب الشارع فعله من غير ذم على تركه مطلقا)[٢].

والمنـدوب يكون طلبه من غير إلزام، فإما أن يكون ذلك صراحةً كما في تعبير (يُسنّ أو يندب)، وإما أن يكون بصيغة الأمر، ولكن اقترن بهذا الأمر ما يدل على الندب.

مثاله:

قـول الله تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾[٣]. والأصل أن هذا الأمر بكتابة الدين للوجوب والإلزام، ولكن اقترن بهذا النص ما صرفه عن الوجوب إلى الندب، وذلك

١– الموافقات للشاطبي ج١ ص١٢٢.

٢– الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ج١. ص ١٧٠.

٣– سورة البقرة، من الآية ٢٨٢.

Deen 321 (2015).indd 51 04/08/2016 13:07:53

لقولـه تعالى في الآية التـي تليها: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾[١].

فهـذا النص يدل على أن للدائـن – إن وثق بمدينه وائتمنه على الدين – أن يعطيه من دون كتابة وتوثيق؛ فهـذا يصرف الأمر بالكتابـة عن الإلزام والوجـوب إلى الندب، فتكون الكتابة مندوبـة، كما هو رأي الجمهور.

حكمه:

الطلـب على سبيل الاستحبـاب، وكثيرًا ما يسميه العلماء: المستحب، والنافلـة، والسنة... ويثاب المرء على فعله.

٣. الحـــرام

تعريفه:

الحرام هو: (ما ألزم الشارع المكلف بتركه على نحو يُشعر بالذم على الفعل).

صوره:

والمتتبع لحالات التحريم يرى أن خطاب الشارع في إلزام المكلف بالترك يكون على صور متعددة:

- فقد يكون التحريم بلفظ الحرمة، كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَلَـٰتُكُمْ﴾[٢].
- وقد يكون بلفظ نفي الحل، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ...﴾[٣].
- وقد يكون بصيغة من صيغ النهي، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ﴾[٤].
- وقـد يكون بالأمر بالاجتناب والترك، كما في قول رسول الله ﷺ: (اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بـالله، والسحر، وقتل النفـس التي حرم الله إلا بالحـق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيـم، والتولّي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)[٥].

١– سورة البقرة، من الآية ٢٨٣.

٢– سورة النساء، من الآية ٢٣.

٣– سورة البقرة، من الآية ٢٢٩.

٤– سورة البقرة، من الآية ١٨٨.

٥– أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

Deen 321 (2015).indd 52 04/08/2016 13:07:53

– وقد يكون بترتيب العقوبة على الفعل كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1].

أنواع الحرام:

والحرام على نوعين:

الأول– الحرام لعينه وهو: ما حكم الشارع بتحريمه ابتداءً؛ كالسرقة، والزنا، وأكل المال بالباطل، وبيع الميتة، والزواج بإحدى المحرمات، وغير ذلك مما حرمه الشارع تحريمًا ذاتيًا، فالتحريم فيه وارد على ذات الفعل، لما يشتمل عليه من المضار والمفاسد.

وحكم هذا النوع من الحرام أنه: غير مشروع أصلاً، فلا يترتب عليه حكم شرعي؛ فإذا فعله المكلف وقع باطلا. فالسرقة لا تكون سببًا لثبوت الملك، والزواج بالمحارم – مع العلم بالتحريم – لا يثبت به ما ثبت بالزواج المشروع من النسب والتوارث.

الثاني– الحرام لغيره وهو: ما كان مشروعًا بأصله، ولكن عرض له ما اقتضى تحريمه، كالصيام يوم العيد الذي نهى الشارع عنه، واعتبره حرامًا. فالصيام مشروع حسب الأصل، ولكن حرّمه الشارع في هذا اليوم الذي يعتبر الناس فيه ضيوفًا على الله تعالى، وفي الصيام يوم العيد إعراض عن هذه الضيافة، فكان التحريم للموصف الذي اتصل به وهو هذا الإعراض.

٤. المكـــروه

تعريفه:

المكروه يقابل المندوب، وهو: ما جعل الشارع تركه أولى من فعله من غير إلزام. وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾، فقد اقترن بذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[2]، وهو قرينة صرفت النهي عن التحريم إلى الكراهة.

١– سورة التوبة، من الآية ٣٤.

٢– سورة المائدة، آية ١٠١.

Deen 321 (2015).indd 53 04/08/2016 13:07:53

مثاله:

وقد ضرب الفقهاء بعض الأمثلة عليه. مثل: الوضوء بماء مشمس، أو الوضوء بماء شربت منه فرس، أو ترك المندوب كمن توضأ و لم يستنشق، وغير ذلك.

حكمه:

أن فاعله لا يستحق العقاب، وقد يستحق اللوم والعتاب.

٥. المباح

تعريفه:

والمباح هو: (ما خيّر الشارع المكلف بين فعله وتركه من غير ترجيح)[١].

صوره:

وخطاب الشارع في الإباحة يأتي على صور متعدّدة:

- فقد يكون ذلك بالنص على نفي الإثم، أو الجُناح، أو الحرج. كقوله تعالى في شأن بعض المطعومات المحرمة: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[٢].
- وقد يكون بالتصريح بالحلّ: كقوله عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾[٣].
- وقد يكون مع قرينة تدل على أنه للإباحة، كقوله جل وعلا في سورة الجمعة: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[٤].

وكل ما يُجريه الناس فيما بينهم، من عقود ومعاملات، لتبادل المنافع، وتيسير أمور دنياهم ومصالحهم، فهو على الإباحة، ما لم يوجد في الشرع ما يدل على غير ذلك.

حكمه:

أنه لا عقاب على فعله وتركه، إلا إذا قصد المكلف بفعله الاستعانة على الواجبات والسنن، فيثاب عليه لهذا القصد.

١- المستصفى للغزالي. ج١ ص٧٥.

٢- سورة البقرة، من آية ١٧٣.

٣- سورة المائدة، من الآية ٥ .

٤- سورة الجمعة، من الآية ١٠.

Deen 321 (2015).indd 54 04/08/2016 13:07:53

فائدة:

قد تثبت للفعل الواحد عدة أحكام تكليفيّة، كالوصية مثلا فإنها تابعة لحكم الموصى به:

١. فإن كان الموصى به واجبًا؛ فهي (واجبة)، كمن يوصي بحج، أو أداء دين.

٢. وإن كان مندوبًا؛ فهي (مندوبة)، كمن يوصي لذي رحم فقير.

٣. وإن كان محرمًا؛ فهي (محرمة)، كمن يوصي بمعصية كبناء دار لهو.

٤. وإن كان مكروهًا؛ فهي (مكروهة)، كمن يوصي لأهل الفسق والمعاصي.

٥. وإن كان مباحًا؛ فهي (مباحة)، كمن يوصي لغني.

ولعل في هذا البيان للحكم الشرعي وأقسامه ومشتملاتها ما يكشف لنا عن سمات العظمة في تشريعنا الإسلامي الذي كان التشريع الأول في تاريخ الإنسانية من حيث قيامه على نظرية الحلال والحرام، مع ما لهذه النظرية من تأثيرات إيجابية على السلوك البشري.

Deen 321 (2015).indd 55 04/08/2016 13:07:53

التقـــويم

١– عرّف الحكم الشرعي لغةً واصطلاحا.

٢– وضّح المصطلحات التالية، وأعط مثالاً على كل واحد منها:

- خطاب الله تعالى.
- أفعال المكلفين.
- المكلف.

٣– عدد أقسام الحكم الشرعي.

٤– يكون خطاب الإلزام في (الواجب) على صور متعددة، إيت بثلاث منها.

٥– ميّز بين الواجب المطلق من الزمان، والمقيّد بزمان.

٦– قارن بين فرض العين، وفرض الكفاية من حيث التعريف، والحكم، مع الأمثلة.

٧– عرّف المندوب اصطلاحا.

٨– وضّح نوعي الحرام.

٩– اكتب ثلاث صور لخطاب الشارع في الإباحة، مع التمثيل عليها.

١٠– اختر الإجابة الصحيحة مما يأتي:

- **إذا طلب الشارع طلبًا من غير جزم، فهو:**

أ – الإيجاب.

ب– الندب.

ج– الإباحة.

د – الكراهة.

- **خطاب الله في تحريم أكل المال بالباطل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ كان على صورة:**

أ – لفظ الحرمة.

ب– لفظ نفي الحل.

ج – صيغة من صيغ النهي.

د – ترتيب العقوبة على الفعل.

١١– بيّن كيف يثبت للفعل الواحد عدة أحكام شرعية، مع التمثيل.

Deen 321 (2015).indd 56 04/08/2016 13:07:53

الفصل الثـالـث:

مصطلحات أصولية

Deen 321 (2015).indd 58 04/08/2016 13:07:53

يـتردد علـى أسماعنا في كثير من الأحيان بعض المصطلحات الفقهية، ولا نـدري مدلولها أو المقصود منهـا، فيصرفنـا عـدم فهمنا لها عـن إدراك قضايا وأمور هامة بـل وعن أحكام شرعيـة لها علاقة كبيرة بحياتنا، سواء في مجال العبادات أم المعاملات أو غيرها.

وإليـك عزيزي الطالب طائفة من هذه المصطلحات التي ربما تستمع إليها من مذياع أو تلفاز أو تقرؤها في بعض الكتب والدوريات الإسلامية:

١- الناسخ والمنسوخ

لهـذا البحث أهميـة خاصة، لأن معرفة الناسخ والمنسوخ أمر أساسي في فهم الإسلام، وفي الاهتداء إلى صحيـح الأحـكام، خصوصاً إذا ما وجدت أدلة متعارضة، لا يندفع التناقض بينها إلا بمعرفة سابقها من لاحقها، وناسخها من منسوخها.

ولهذا اهتم سلفنا الصالح بمعرفة هذا العلم، فقد جاء في الأثر أن ابن عباس رضي الله عنهما فسّر الحكمة في قولـه تعـالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[١] بمعرفـة ناسخ القـرآن ومنسوخه، ومحكمـه ومتشابهه، ومقدمـه ومؤخره، وحلاله وحرامه[٢]. وروي أن علياً ﷺ مرّ على قاضٍ فقال له: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا. قال علي ﷺ: هلكتَ وأهلكت.

معنى النسخ:

النسخ في اللغة يطلق على معنيين:

١- **النقل**: أي نقل الشيء وتحويله من حالة إلى حالة مع بقائه في ذاته، ومنه تناسخ المواريث بانتقالها من قوم إلى قـوم. ومنه: نسختُ الكتاب إذا نقلتُ ما فيه. وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم بقوله تعـالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣] أي ننقل أعمالكم إلى الصحف، ومن الصحف إلى غيرها.

٢- **الإزالـة**: بمعنى رفع الشيء وإعدامه، ومنه قولهم: نسختِ الشمسُ الظلَّ. إذا أزالته، ونسخَ الشيبُ الشبـابَ، ونسخـتِ الريحُ آثارَ القـدم. أي أعدمته. وقد ورد هذا المعنى في القـرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ﴾[٤].

١- سورة البقرة، من الآية ٢٦٩.

٢- في (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس).

٣- سورة الجاثية، آية ٢٩.

٤- سورة الحج، آية ٥٢.

Deen 321 (2015).indd 59 04/08/2016 13:07:54

أما النسخ في الاصطلاح الشرعي:

فقد عرفه الأصوليون والفقهاء بقولهم: (رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متراخٍ عنه). أي إبطال الحكم السابق، والعمل بالحكم الثابت آخرا.

حيث إن معنى (رفع): أي قطع تعلقه بأفعال المكلفين.

والحكم الشرعي هو: خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين.

والدليل الشرعي هو: وحي الله مطلقا، فيشمل الكتاب و السنة.

شروط النسخ:

ومن التعريف السابق للنسخ نرى أنه لا بد في تحقق النسخ من أربعة أمور هي:

١- أن يكون المنسوخ حكماً شرعياً.

٢- أن يكون دليل رفع الحكم (إبطاله) دليلاً شرعياً.

٣- أن يكون بين الدليل الناسخ والمنسوخ فترة زمنية.

٤- أن يكون بين هذين الدليلين تعارض حقيقي.

جواز النسخ:

أجمع المسلمون على جواز النسخ مطلقا، واستدلوا على ذلك بالنقل والعقل:

- **أما النقل**: فمنه قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[1]، فهي صريحة بجواز النسخ، بل هي قد نزلت ردًّا على الذين طعنوا في الشريعة الإسلامية بوقوع النسخ فيها. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

والتبديل هو: رفع لأصل وإثبات لبدل، وهذا معنى النسخ. والآية صريحة في جواز ذلك. بل هي تنكر على من يتهم الرسول ﷺ بالكذب بسبب وقوع ذلك في شرعه.

- **وأما العقل**: فهو أن العقل لا يمنع جواز النسخ بل يقتضيه. وذلك لأن الله تعالى يشرع الأحكام لتحقيق مصالح العباد، ومصالح العباد قد تختلف باختلاف الأزمان، وليس مما يمنعه العقل أن يعلم الله تعالى المصلحة في عمل في زمن من الأزمان، ويعلم عدم المصلحة فيه في زمن آخر، وعلم الله تعالى في الحالتين قديم، فيأمر به في الزمن الأول، وينهى عنه في الزمن الآخر، وهو سبحانه وتعالى أعلم بمصالح

٢- سورة البقرة، آية ١٠٦، ومعنى ننسها: نمحها من القلوب

٣- سورة النحل، آية ١٠١.

Deen 321 (2015).indd 60 04/08/2016 13:07:54

العباد، وبما فيه الخير لهم من أنفسهم، وقد أحاط سبحانه وتعالى بكل شيء علما، يعلم ما سيطرأ على الحكم من نسخ قبل تشريعه، ويعلم الفترة المناسبة لتطبيقه وإنهائه.

حكمة النسخ:

تتجلى الحكمة من تشريع النسخ في النقاط التالية:

١. أن الله تعالى يريد بالناس اليسر ولا يريد أن يرهقهم بالتكاليف، وأنه يرعاهم بالتشريع ويحفظهم به.

٢. ابتلاء الناس واختبارهم، ليظهر المؤمن الذي يطبق الدين فيفوز، ويهلك الكافر والمنافق بابتعادهما عن دين الله.

٣. تعليم الأمة الإسلامية وعلى رأسها الحاكم المسلم أخذ الناس بمبدأ التدرج في التكليف مراعاة لأحوالهم النفسية والاجتماعية وغير ذلك.

وإلى المعاني المتقدمة يشير قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[١]، كما تظهر تلك الحكم جلية واضحة في تحريم الإسلام للخمر، فقد كان من الصعب على الإنسان الذي ألف الخمر في الجاهلية واحتساها صباح مساء أن يفاجأ بتحريمها دفعة واحدة، فكان من المناسب في حكمة التشريع أن يتدرج بتهيئة النفوس لتقبل الحكم بتحريمها.

نشاط:

ابحث عن الآيات التي نزلت في تحريم الخمر؛ لتتعرف التدرج في نزولها.

طرق معرفة النسخ:

١- أن يكون في أحد النصين ما يدل على تعيين المتأخر منهما، نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾[٢]. حيث نُسخ هذا الحكم الشرعي بوجوب تقديم صدقة بين يدي مناجاة رسول الله ﷺ بقوله تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٣]. ونحو قول الرسول ﷺ: (كنتُ قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها)[٤].

١- سورة البقرة، آية ١٠٦.

٢- سورة المجادلة، آية ١٢.

٣- سورة المجادلة، آية ١٣.

٤- أخرجه مالك في موطئه.

Deen 321 (2015).indd 61 04/08/2016 13:07:54

٢- أن ينعقد إجماع الأمة في عصر من عصورها على تعيين المتقدم من النصين، والمتأخر منهما.
٣- أن يرد من طريق صحيحة عن أحد من الصحابة ما يفيد تعيين أحد النصين المتعارضين للسبق على الآخر أو التراخي عنه. كأن يقول: نزلت هذه الآية بعد تلك الآية، أو نزلت هذه الآية قبل تلك الآية.

ما يتناوله النسخ:

إن تعريف النسخ بأنه رفع حكم شرعي بدليل شرعي، يفيد بوضوح أن النسخ لا يكون إلا في الأحكام المتعلقة في بعض فروع العبادات والمعاملات التي تقتضي المصلحة التي يقررها الشارع الحكيم بإنهاء العمل بها نظرًا لتغير الأحوال والظروف.

الأمور التي لا يقع فيها النسخ:

لا يقع النسخ في أمور العقائد وأمهات الأخلاق وأصول العبادات والمعاملات؛ وذلك لأن العقائد والأخلاق حقائق صحيحة ثابتة لا تقبل التغيير والتبديل.

والفرق بين أصول العبادات والمعاملات، وبين فروعها:

- أن هذه الأصول كالأمر بعبادة الله وطاعته والأمر بالعدل والإحسان والرحمة، والنهي عن الظلم والفحشاء والمنكر؛ ما جاءت الشريعة إلا لتقررها، لإسعاد البشرية بمنهج الله.
- وأما فروعها: فهي ما تعلق بالهيئات، والأشكال، والأمكنة، والأزمنة، والعدد، وهذه أمور قد يطرأ عليها النسخ بحسب مصلحة المكلفين، وظروفهم وقدراتهم.

تنبيه:

لا يكون النسخ في الأحكام الشرعية إلا في عهد النبي ﷺ فقط؛ لأن التشريع اكتمل في حياته عليه الصلاة والسلام، ولا يمكن لأحد كائنًا من كان أن يبطل حكمًا من أحكام الإسلام بعد رسول الله ﷺ.

١- مناهل العرفان للزرقاني، ج٢/١١٦.

Deen 321 (2015).indd 62 04/08/2016 13:07:54

أقسام النسخ:

ينقسم النسخ إلى أربعة أقسام، هي:

١- نسخ القرآن بالقرآن:

ومثاله: أن الله تعالى نهى المسلمين في العهد المكي - حيث لا قوة لهم ولا دولة - عن قتال الكفار ورغّبهم في العفو والصفح بقوله تعالى: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾[١]، وعندما صار للإسلام أرضٌ يقوم عليها وجماعة تنصره، وقوة تدافع عنه، نسخ الله النهي عن القتال وأذن للمسلمين بالجهاد فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[٢].

٢- نسخ القرآن بالسنة:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٣]. حيث نُسخت هذه الآية بقول الرسول ﷺ: **(إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث)**[٤].

٣- نسخ السنة بالقرآن:

ومثاله: استقبال بيت المقدس في الصلاة، حيث لم يعرف إلا من السنة، وقد نسخه قول الله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[٥].

٤- نسخ السنة بالسنة:

ومثاله: أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالوضوء مما مسّت النار من اللحم بعد أكله، فقال: **(توضؤوا مما مست النار)**[٦]، إلا أنه ثبت أن الرسول الكريم قد نسخ الوضوء مما مسّت النار بأكله ﷺ من الشاة و لم يتوضأ. ففعله ﷺ بالأكل من الشاة بعد إنضاجها ناسخ لقوله السابق.

١- سورة البقرة، آية ١٠٩.

٢- سورة الحج، آية ٣٩.

٣- سورة البقرة، آية ١٨٠.

٤- رواه أبو داود والترمذي.

٥- سورة البقرة، آية ١٤٤.

٦- رواه مسلم.

Deen 321 (2015).indd 63 04/08/2016 13:07:54

التقـــويم

١- بمـاذا فسّـر ابن عباس رضي الله عنهما الحكمة في قوله تعـالى: (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا)؟

٢- يفيد النسخ في اللغة معنيين، وضّحهما مع الأدلة.

٣- عرّف النسخ عند الأصوليين والفقهاء، ثم فسّره.

٤- اذكر الدليل النقلي والعقلي على مشروعية النسخ.

٥- بيّن حكمة النسخ في التشريع.

٦- اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

- لابد في تحقق النسخ من ورود دليلين، وصفتهما أنهما:

أ- متفقان فيما بينهما.

ب- مختلفان، ويمكن الجمع بينهما.

ج- متعارضان، ويمكن الجمع بينهما بالتأويل.

د- متعارضان، ولا يمكن الجمع بينهما.

- عند ثبوت أن أحد الدليلين متأخر عن الآخر بالنسبة لمعرفة النسخ، يكون:

أ- السابق هو الناسخ، واللاحق هو المنسوخ.

ب- السابق هو المنسوخ، واللاحق هو الناسخ.

ج- كلاهما ناسخًا.

د- كلاهما منسوخًا.

- النسخ في الأحكام الشرعية لا يكون إلا في زمن:

أ- النبي ﷺ.

ب - الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

ج- التابعين رضي الله عنهم.

د- النبي ﷺ وحتى يوم القيامة.

Deen 321 (2015).indd 64 04/08/2016 13:07:54

٧ – لمعرفة النسخ ثلاثة مسالك، هي:

أ – .....

ب– .....

ج– .....

٨ – وضّح الأمور التي يتناولها النسخ.

٩ – ما الأمور التي لا يتناولها النسخ؟ ولماذا؟

١٠– عدد أقسام النسخ، مع ذكر مثال لكل منها.

النشاط:

ارجع إلى كتاب: مناهل العرفان للزرقاني، واستخرج منه ثلاثة أمثلة لوقوع النسخ في القرآن غير ما ورد في كتابك.

Deen 321 (2015).indd 65 04/08/2016 13:07:54

٢- المجمل والمبيَّن

أ- المجمل:

تعريفه:

هو في اللغة: المبهم، مأخوذ من الإجمال وهو الإبهام وعدم التفصيل.

وفي الاصطلاح: أن يكون اللفظ محتملاً لمعان كثيرة، فلم يكن حمله على بعضها أولى من الباقي.

حكمه:

لا يجوز العمل بأحد محتملاته إلا بدليل خارجي خاص مبيّن للمراد به.

فائدته:

التشويق إلى المعنى المقصود والمراد، فإن اللفظ إذا أُجمل رغبت النفس في معرفة المراد به، فإذا تم بيانه كان له وقع جميل في النفس.

أسبابه:

وأبرز أسباب الإجمال: نقل اللفظ من معناه الظاهر في اللغة إلى معنى شرعي جديد، فكثير من المسميات أعطاها الشارع بعد الإسلام معاني جديدة حسب منهج الشريعة الجديدة، وذلك كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، فكساها نوعاً من الإجمال، استحال بيانه وتفصيله بالبحث والاجتهاد، وإنما تكفلت ببيانه السنة القولية أو الفعلية[١] قال عزّ وجل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

مثاله:

١- الصلاة:

اهتم القرآن الكريم بالصلاة اهتماماً بالغاً، وذكرها في كثير من الآيات الكريمة، لم يبين تفاصيلها وجزئياتها، من حيث عدد ما فُرض من الصلوات ومواقيتها، وسننها، وعدد ركعاتها... الخ. وإنما أشار القرآن إلى كيفية الصلاة إجمالاً، فجاء في ذلك قوله

١- الرسالة للإمام الشافعي، ص ١٧٦.

٢- سورة النحل، من الآية ٤٤.

Deen 321 (2015).indd 66 04/08/2016 13:07:54

تعـــــالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾[١]، ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[٢]. ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[٣]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ ﴾[٤].

ومـا أجملـه الله في كتابـه، شاء أن يكـون بيانه من نبيه محمـد ﷺ. فتكفلت السنة قـولاً وعملاً ببيان ما تدعو الحاجة إلى بيانه، من عدد ما فُرض من الصلوات، ومواقيتها، وأركانها وشرائطها، وسننها، وعدد ركعاتها... الخ.

وكان الرسول ﷺ المبيِّن عن ربه عز وجل يصلي بالمسلمين الصلوات الخمس في جماعة، ويحرص على بيانهـا لهم قولاً وعملاً، وروي (أنـه صلى مرة على المنبر يقوم ويركع ثم قال لهم: إنما فعلت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي)[٥]. وثبت أيضاً قوله ﷺ: (**صلوا كما رأيتموني أصلي**)[٦].

فـكان بيانه لما ورد في القرآن الكريم مجملاً بشأن الصلاة إقامتها على الوجه المشروع والأكمل، حسبما جاء تكليف القرآن الكريم بها: (**وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ**).

٢- الحج :

ورد الحـج (مجمـلاً) مفروضًـا علـى من يجـد السبيل، قال تعـالى: ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** ﴾[٧]. فبينت السنة السبيل، بأنه ملك الزاد والراحلة. كما أخبر الرسول ﷺ بمواقيت الحـج وأعمالـه، ومراتب تلك الأعمال وما سوى ذلك ... وقال ﷺ: (**لتأخذوا عني مناسككم**)[٨]. وفي حجته ﷺ التي روى حديثها مسلم وأبو داود، خير تفصيل وأفضل بيان.

١- سورة النساء، آية ١٠٣.

٢- سورة البقرة، من الآية ٢٣٨.

٣- سورة الإسراء، الآية ٧٨.

٤- سورة الحج، من آية ٧٧.

٥- أخرجه البخاري ومسلم.

٦- أخرجه أحمد والبخاري ومسلم.

٧- سورة آل عمران، من الآية ٩٧.

٨- أخرجه أحمد ومسلم والنسائي.

Deen 321 (2015).indd 67 04/08/2016 13:07:55

٣- المعاملات:

وعرض القرآن الكريم للمعاملات بشكل إجمالي فأمر بالوفاء بالعقود: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[١]، وهي كلمة تشمل جميع الالتزامات، ونصّ على حلّ البيع وحرمة الربا، ونهى عن أكل أموال الناس بالباطل. وكان لا بد لهذا الإجمال من بيان وتفصيل، فكان في أقضية الرسول ﷺ وأحاديثه، بيان ذلك لتيسير التعامل بين الناس، فسلك بهم سبيل التعاون المثمر والخير العميم.

نشاط

هات أمثلة أخرى على الأحكام الشرعية المجملة التي بينتها نصوص القرآن أو السنة.

ب- المبيَّن:

تعريفه:

هو في اللغة: الموضَّح.

وفي الاصطلاح: ما دل على معنى معين من غير إبهام.

وقيل هو: إخراج الشيء من حيّز الغموض إلى حيّز الوضوح.

هل يشترط في البيان سبق إجمال؟

لا يشترط في البيان سبق إجمال، فقد يأتي البيان دون إجمال سابق كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[٢]. وقد يأتي بعد إجمال ويكون بأحد الأساليب التالية:

١- سورة المائدة، من آية ١.

٢- سورة العنكبوت، آية ٦٢.

Deen 321 (2015).indd 68 04/08/2016 13:07:55

١- إما بالكلام، كقوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [١]. وقد بيَّن ذلك بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [٢].

٢- أو بالكتابة، مثل كتب النبي ﷺ إلى عماله في الصدقات، لبيان ما أجمله القرآن في موضوع الزكاة، وكتبه ﷺ إلى ملوك وأمراء العرب وغيرهم [٣].

٣- أو بالإشارة بالأصابع، نحو (عقد الأصابع): فقد بيّن به الرسول ﷺ إذ قال: (الشهر هكذا وهكذا وهكذا- ثم عقد إبهامه في الثالثة - صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُمَّ عليكم فاقدروا ثلاثين) [٤].

٤- أو بالفعل، كتبيينه ﷺ الصلاة والحج بفعله ﷺ كما أسلفنا في الأحاديث: (صلوا كما رأيتموني أصلي)، (إنما فعلتُ هذا لتأتموا بي)، (لتأخذوا عني مناسككم).

هل يجوز تأخير البيان؟

اتفق العلماء على أنه يجوز تأخير بيان المجمل إلى وقت الحاجة إليه والعمل به. واستدلوا على ذلك بما يلي:

- قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [٥]. وكلمة (ثم) في اللغة تفيد التراخي.
- وقوله عزَّ وجلَّ لنوح عليه السلام: ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾، ولم يبين أن ولده المقدر غرقه ليس من أهله حتى قال نوح: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ فقال تعالى: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [٦].
- وقوله عزَّ من قائل: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [٧] مع إنه لم يبين المراد بذي القربى حتى سئل رسول الله ﷺ فقال: هم (بنو هاشم وبنو عبد المطلب).

١- سورة القارعة، الآية ١، ٢، ٣.

٢- سورة القارعة، الآية ٤.

٣- مثل هذه الكتب تجدها في تاريخ الطبري ج٣، ص ١٥٦ وفي سيرة ابن هشام ج٢ ص ٣٨٣.

٤- أخرجه الشيخان وأحمد والنسائي وابن ماجه والبيهقي والحاكم.

٥- سورة القيامة، الآيات (١٧، ١٨، ١٩).

٦- سورة هود، من الآيتين ٤٥، ٤٦.

٧- سورة الأنفال، آية ٤١.

Deen 321 (2015).indd 69 04/08/2016 13:07:55

التقـــويم

١- عرّف المجمل لغةً واصطلاحا.

٢- وضّح حكم المجمل وفائدته.

٣- ما أبرز أسباب الإجمال؟ مثّل لما تقول.

٤- فسّر كيفية بيان السنة للمجمل من الأحكام الشرعية.

٥- اذكر دليلين شرعيين يوضّحان جواز تأخير البيان إلى وقت الحاجة إليه.

٦- هل يشترط في البيان سبق إجمال؟ مع التمثيل في إجابتك.

٧- اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

- **(أخـذ النبي ﷺ حريراً فجعله في يمينه، وأخذ ذهباً فجعله في شـماله، ثـم قال: إن هذين حرامٌ على ذكور أمتي، حلٌّ لإناثهم)**[1]. **في هذا الحديث كان بيان الرسول ﷺ بـ:**

أ - الكلام.

ب- الكتابة.

ج - الإشارة.

د - الفعل.

١- أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه.

Deen 321 (2015).indd 70 04/08/2016 13:07:55

٣- العام والخاص

أ- العام:

تعريفه:

هو اللفظ الموضوع للدلالة على جميع ما يصلح له من الأفراد.

أو هو: اللفظ المستغرق لجميع أفراده بلا حصر.

مثاله:

- لفظ (الوصية) في قوله ﷺ: (**لا وصية لوارث**)[١]. فهي نكرة في سياق النفي، تدل على أن جميع ما يطلق عليه لفظ (وصية) داخل في هذا الحكم، وهو عدم نفاذها في حق الوارث.
- وكما في لفظ (من) في قوله ﷺ يوم فتح مكة: (**مَنْ ألقى سلاحه فهو آمن**)[٢]. فإن (مَنْ) لفظ عام يدل على استغراق وشمول كل فرد ألقى سلاحه من غير حصر في أفراد معينين، فكل من انطبق عليه معنى إلقاء السلاح كان آمنا.

ألفاظ العموم:

للعموم ألفاظ كثيرة تدل عليه نذكر منها ما يلي:

١- **ما دل على العموم بلفظه:** مثل (كل)، و(جميع) كقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[٣]، ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[٤].

٢- **أسماء الشرط:** كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[٥]، فلفظ (مَنْ) الشرطية عام يفيد أن كل من يصل إلى علمه حلول شهر رمضان، وجب عليه الصوم.

٣- **أسماء الاستفهام:** كقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[٦]. حيث تشمل (مَنْ) بعمومها جميع الأفراد.

١- رواه البخاري والنسائي والترمذي.

٢- رواه مسلم من حديث طويل.

٣- سورة آل عمران، الآية ١٨٥.

٤- سورة الزمر، الآية ٦٧.

٥- سورة البقرة، الآية ١٨٥.

٦- سورة البقرة، الآية ٢٤٥.

Deen 321 (2015).indd 71 04/08/2016 13:07:55

٤- **الأسماء الموصولة**: كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾[١]. فلفظ (الذين) في الآية عام يشمل كل آكل للربا.

٥- **أسماء الأجناس**: وهي ما لا واحد لها من لفظها، كحيوان، وماء، وتراب كقوله ﷺ: (**الماء طهورٌ لا يُنجِّسه شيء**)[٢] فلفظ (الماء) اسم معرف بأل الجنسية، فيعم كل ماء.

٦- **المعرف بأل الاستغراقية**: مفردًا كان أم مجموعًا كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾[٣]، ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[٤]. فلفظ (السارق والسارقة) يعم كل سارق وسارقة، فكل من صدق عليه هذا الاسم استحق العقوبة التي هي قطع اليد. ولفظ (المؤمنون) جمع معرف باللام التي تفيد الاستغراق، ولهذا كان شاملاً في الآية لكل مؤمن.

٧- **المعرف بالإضافة**: مفردًا كان أم جمعًا كقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾[٥]، ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾[٦] فلفظ (نعمة) مفرد مضاف يشمل جميع النعم، ولفظ (أولادكم) جمع مضاف يشمل جميع الأولاد بالنسبة للإرث.

٨- **النكرة الواقعة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام الإنكاري**:

- النفي كقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾[٧].
- والنهي كقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[٨].
- والشرط كقوله تعالى: ﴿إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾[٩].
- الاستفهام الإنكاري كقوله تعالى: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾[١٠].

٩- **النكرة الموصوفة بوصف عام**: كقوله تعالى: ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗى﴾[١١]. فلفظ (قول) يفيد العموم لأنه نكرة موصوفة، فالقول وصف بأنه معروف.

١- سورة البقرة، الآية ٢٧٥.
٢- رواه أحمد وأبو داود
٣- سورة المائدة، الآية ٣٨.
٤- سورة المؤمنون، آية ١.
٥- سورة آل عمران، الآية ١٠٣.
٦- سورة النساء، الآية ١١.
٧- سورة البقرة ، الآية ٢٥٦.
٨- سورة النساء، الآية ٣٦.
٩- سورة الأحزاب، الآية ٥٤.
١٠- سورة فاطر، الآية ٣.
١١- سورة البقرة ، الآية ٢٦٣.

Deen 321 (2015).indd 72 04/08/2016 13:07:55

مذاهب العلماء في العام:

اختلف العلماء فيما وضعت له ألفاظ العموم وما يتناوله من أفراد على عدة مذاهب، ولكن الذي ذهب إليه الجمهور هو: إثبات الحكم في جميع ما يتناوله العموم من أفراد، بحيث يشملها جميعا.

العمل بالعام:

يجب العمل بعموم اللفظ العام حتى يثبت تخصيصه؛ لأن العمل بنصوص الكتاب والسنة واجب على ما تقتضيه دلالاتها حتى يقوم دليل على خلاف ذلك.

فإذا ورد العام على سبب خاص (أي في مناسبة معينة) وجب العمل بعمومه لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، إلا أن يدل دليل على تخصيص العام:

١- **مثال ما لا دليل على تخصيصه:** (آيات الظهار) فإن سبب نزولها: ظهار أوس بن الصامت، حيث قال لزوجته أنت عليَّ كظهر أمي. والحكم عام فيه وفي غيره.

٢- **مثال ما دل الدليل على تخصيصه:**

أ - قول الرسول ﷺ: (ليس من البر الصيام في السفر)[١]. فإن سببه أن النبي ﷺ كان في سفر فرأى زحامًا ورجلاً قد اجتمع عليه القوم، فقال ما هذا؟ قالوا: صائم. فقال: (ليس من البر الصيام في السفر)، فهذا العموم خاص بمن يشبه حال هذا الرجل وهو من يشق عليه الصيام في السفر. والدليل على تخصيصه بذلك أن النبي ﷺ كان يصوم في السفر حيث كان لا يشق عليه. ولا يفعل ﷺ ما ليس ببر.

ب - وعندما نزل قوله تعالى في شأن المجاهدين: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله)، قال ابن أم مكتوم - وكان ضرير البصر -: يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين؟ والله لو أستطيع الجهاد معك لجاهدت، فنزل قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٢]. وهكذا عقل عبد الله بن أم مكتوم بسليقته عموم لفظ (القاعدون) من الآية وخشي على نفسه أن يحسب منهم، حتى جاءت الرخصة بقوله تعالى: (غير أولى الضرر) بحيث استثني أصحاب الأعذار، فلم يعد يشملهم العموم الذي أفاده (القاعدون من المؤمنين)، وأصبح الأمر مقصورًا على غير أولي الضرر.

١- متفق عليه.

٢- سورة النساء، الآية ٩٥.

Deen 321 (2015).indd 73 04/08/2016 13:07:55

ب- الخاص:

تعريفه:

الخاص: هو اللفظ الدال على محصور محدد.

أقسامه:

تنقسم الأدلة التي يخصص بها العموم إلى قسمين: مخصصات منفصلة، ومخصصات متصلة.

وفيما يلي أمثلة على المخصصات المنفصلة:

أ- **تخصيص الكتاب بالكتاب**: ومثاله: قوله تعالى: (ولا تنكحوا المشركات)، فلفظ (المشركات) عام يشمل كل مشركة كتابية أو غير كتابية. وقد خُصَّ بقوله تعالى: ﴿**وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ**﴾[1] إذ يجوز الزواج منهم.

ب- **تخصيص الكتاب بالسنة**: ومثاله قوله تعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ**﴾[2]. فلفظ (أولادكم) شامل للولد الكافر والمسلم، وقد خُصَّ بحديث: (**لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم**)[3].

ج- **تخصيص السنة بالكتاب**: ومثاله: تخصيص حديث: (**لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**)[4]، بقوله تعالى: ﴿**فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟**﴾[5]. ثم وردت السنة بالتيمم لكن بعد نزول الآية.

د- **تخصيص السنة بالسنة**: ومثاله: قوله ﷺ: (**فيما سقت السماء العشر**)[6]، فقد خُصَّ بقوله ﷺ: (**ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة**)[7].

١- سورة المائدة، آية ٥.

٢- سورة النساء، الآية ١١.

٣- متفق عليه.

٤- متفق عليه.

٥- سورة المائدة، الآية ٦.

٦- رواه البخاري وغيره.

٧- متفق عليه.

Deen 321 (2015).indd 74 04/08/2016 13:07:56

أما المخصصات المتصلة، وهي التي لا تستقل بنفسها، فهي على أنواع، منها:

أ- **الاستثناء**: ومثاله: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[1]. وأدوات الاستثناء هي: إلا، وغير، وسوى، وليس، ولا يكون، وخلا، وعدا، وحاشا.

ب- **الشرط**: ومثاله قوله تعالى في المشركين: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾[2].

ج- **الصفة**: ومثالها قوله تعالى: ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[3].

د- **البدل**: ومثاله قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[4].

هـ- **الحال**: ومثاله قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾[5].

١- سورة العصر، الآيتان (٢،٣).

٢- سورة التوبة، الآية ٥.

٣- سورة النساء، الآية ٢٥.

٤- سورة آل عمران، آية ٩٧.

٥- سورة النساء، آية ٩٣.

Deen 321 (2015).indd 75 04/08/2016 13:07:56

التقـــويم

١– وضّح معنى التعريف الوارد لمفهوم العام، وهو (اللفظ المستغرق لجميع أفراده بلا حصر).

٢– أعط مثالاً للعام الذي يشمل جميع أفراده و لم يرد له تخصيص.

٣– للعموم ألفاظ محددة إذا أطلقت عليه. مثل بثلاثة استشهادات نصية تحتوي على تلك الألفاظ.

٤– استخرج من النصوص التالية ألفاظ العموم:

– ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾.

– ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾.

– ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾.

– ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾.

– ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

– ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾.

٥– ما رأي جمهور العلماء في ألفاظ العموم ودلالاتها؟

٦– عرف الخاص واذكر قسميه.

٧– أعط أمثلة على:

– تخصيص القرآن بالقرآن

– تخصيص السنة بالقرآن

– تخصيص السنة بالسنة

٨– وضّح معنى المخصصات المتصلة من خلال ما تورده من أمثلة.

Deen 321 (2015).indd 76 04/08/2016 13:07:56

٤- الأمـر والنهـي

أ- الأمر:

تعريفه:

هو القول الدال على طلب الفعل على وجه الاستعلاء.

الصيغ التي يرد بها:

ذهب جمهور العلماء إلى أن للأمر صيغًا موضوعة تدل عليه دون احتياج إلى قرينة وهي:

١- فعل الأمر مثل: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[١].

٢- اسم فعل الأمر مثل: حيَّ على الصلاة، ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[٢].

٣- المصدر النائب عن فعل الأمر مثل: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾[٣].

٤- المضارع المقترن بلام الأمر مثل: ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[٤].

وقد تخرج صيغة الأمر عن معنى الوجوب لتفيد معاني أخرى إذا اقترن بها ما يدل على أن الأمر هنا ليس للوجوب. وفيما يلي أمثلة على ذلك:

١- **الندب:** كما في قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾[٥]. فالأمر بالإشهاد على التبايع للندب بدليل أن النبـي ﷺ اشترى فرسًا من أعرابـي و لم يشهد[٦]. وبذلك يكون الأمر المستفاد من كلمة «وأشهدوا» قد خرج عن معنى الوجوب وأفاد الاستحباب.

٢- **الإباحة:** كمـا في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ﴾[٧]. فالأمر بالاصطياد للإباحة، إذ لا يُعقل أن يفرض الشرع على المسلم عندما يتحلل من الإحرام أن يقوم بالاصطياد.

١- سورة البقرة، الآية ٨٣.

٢- سورة المائدة، الآية ١٠٥.

٣- سورة محمد، الآية ٤.

٤- سورة الحج، الآية ٢٩.

٥- سورة البقرة، الآية ٢٨٢.

٦- رواه أحمد والنسائي وأبو داود.

٧- سورة المائدة، من آية ٢.

Deen 321 (2015).indd 77 04/08/2016 13:07:56

٣- **التهديد:** كما في قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[١]، فذكر الوعيد بعد الأمر المذكور دليل على أنه للتهديد.

٤- **التأديب:** كما في قول الرسول ﷺ لعمر بن أبي سلمة - وهو دون البلوغ ويده تطيش في الصحفة: **(يا غلام سمِّ الله وكُلْ بيمينك وكُلْ مما يليك)**[٢].

تنبيه:

من الأمور الهامة في مجال الأمر أنه إذا توقف فعل المأمور به على شيء كان ذلك الشيء مأمورًا به كذلك، فإن كان المأمور به واجبًا كان ذلك الشيء واجبًا، وإن كان المأمور به مندوبًا كان ذلك الشيء مندوبًا.

- **فمثال الواجب:** (ستر العورة) فإنّ سترها واجب شرعي، ومن هنا كان شراء اللباس لسترها واجبًا.
- **ومثال المندوب:** (التطيب للجمعة) فإنّ التطيب يوم الجمعة يستحب شرعًا، ولذلك فإنّ شراء الطيب واستعماله مندوب في الشريعة.

ب- النهي:

تعريفه:

النهي هو: القول الدال على طلب الكفِّ عن الفعل على وجه الاستعلاء.

الصيغ الدالة على النهي:

ويُدَلَّ على النهي بأمور كثيرة أشهرها:

١- الفعل المضارع المقرون بلا الناهية، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾[٣].

١- سورة فصلت، من آية ٤٠.

٢- أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه.

٣- سورة الإسراء، الآية ٣٢.

Deen 321 (2015).indd 78 04/08/2016 13:07:56

٢- صيغة الأمر الدالة على الكفّ، كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[١].

٣- ما ورد في مادة النهي، مثل قوله سبحانه: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾[٢].

٤- الجمل الخبرية المستعملة في النهي، من طريق التحريم أو نفي الحل، كقوله تعالى في شأن المحرمات من النساء في الزواج: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾[٣]، وكقوله تعالى في حفظ حقوقهن: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾[٤].

تنبيه:

اتفق العلماء أن صيغة النهي عند الإطلاق تقتضي تحريم المنهي عنه وفساده.

وجوه استعمال صيغة النهي:

النهـي في اللغة طلب الترك، وفي الشرع يدل على تحريم المنهي عنه على وجه الحقيقة، ولا يدل على غير التحريم إلا بقرينة تصرفه عن التحريم إلى غيره.

فالتحريم كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾[٥]، ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[٦].

فقربـان الزنـا، ونكاح ما نكح الآباء من النساء: حرام بالنهي، بإجماع جميع العلماء على ذلك التحريم وقـد يخـرج النهي عن التحريم إلى معـان أخرى - على سبيل المجاز - لقرينـة تقتضي ذلك، ومن هذه المعاني:

١- الكراهـة: مثـل قولـه تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ...﴾[٧].

فتحريم الطيبات في الآية محمول على الكراهة عند جمهور الفقهاء.

١- سورة الحج، الآية ٣٠.
٢- سورة النحل، الآية ٩٠.
٣- سورة النساء، الآية ٢٣.
٤- سورة النساء، الآية ١٩.
٥- سورة الإسراء، من الآية ٣٢.
٦- سورة النساء، الآية ٢٢.
٧- سورة المائدة، الآية ٨٧.

Deen 321 (2015).indd 79 04/08/2016 13:07:56

٢- **الدعاء**: كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[١]. فالنهي هنا يفيد الدعاء.

٣- **الإرشاد**: كقوله تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ...﴾[٢]. فالنهي هنا للإرشاد والتوجيه.

٤- **بيان العاقبة**: كقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ...﴾[٣]، فالمقصود من النهي في الآية بيان عاقبة هؤلاء.

١- سورة آل عمران، الآية ٨.

٢- سورة المائدة، الآية ١٠١.

٣- سورة إبراهيم، الآية ٤٢.

Deen 321 (2015).indd 80 04/08/2016 13:07:56

التقـــويم

١– عرّف الأمر، مع ذكر مثال من القرآن الكريم.

٢– ما هي صيغ الأمر؟ مع التمثيل لثلاث منها.

٣– قد تخرج صيغة الأمر عن معنى الوجوب إلى معان أخرى، مثّل على ذلك بثلاثة أمثلة.

٤– إذا توقف فعل المأمور به على شيء، فما حكم ذلك الشيء؟ مثّل على ذلك.

٥– قارن بين تعريف الأمر والنهي.

٦– بيّن الصيغ الدالة على النهي، مع التمثيل.

٧– ما الذي تقتضيه صيغة النهي عند الإطلاق؟ دعم إجابتك بالأدلة.

٨– اكتب وجهين لاستعمال صيغة النهي، يخرج فيهما النهي عن معناه الحقيقي.

٩– اختر رمز الإجابة الصحيحة مما يلي:

– جاء الأمر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾:

أ– للندب.

ب– للإباحة.

ج– للوجوب.

د– للتهديد.

– النهي في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾ يفيد:

أ– الكراهة.

ب– الدعاء.

ج– الإرشاد.

د– بيان العاقبة.

Deen 321 (2015).indd 81 04/08/2016 13:07:57

Deen 321 (2015).indd 82 04/08/2016 13:07:57

الفصل الرابع:

الاجتهاد

Deen 321 (2015).indd 83 04/08/2016 13:07:57

Deen 321 (2015).indd 84 04/08/2016 13:07:57

حقيقة الاجتهاد

تعريف الاجتهاد:

في اللغة: بذل الجهد والوسع في تحصيل أمر ما. تقول: اجتهدتُ في حمل الحجر، أي بذلتُ قدرتي وجهدي في حمله. واجتهدتُ في فهم الدرس، أي بذلتُ جهدًا فكريًا في تحصيل معارفه.

وفي الاصطلاح:

بذل المجتهد أقصى الوسع لاستنباط حكم شرعي عملي من الأدلة الشرعية التفصيلية.

- وأقصى الوسع: يعني كل ما وسعه من جهد، بحيث يحس الفقيه من نفسه العجز عن المزيد.
- والاستنباط: يعني الاستخراج.
- و الفقيه هو الذي يمكنه أن يستنبط الأحكام العملية من الأدلة الشرعية. فالذي يعرف الأحكام الشرعية ولكنه يعجز عن استنباطها من مصادرها لا يسمى مجتهدًا و لا فقيهًا ولو كان يحفظ الفروع الفقهية؛ لأنه لم يبذل أقصى وسعه في استنباط هذه الأحكام من أدلتها الشرعية التفصيلية وهي: (الكتاب والسنة والإجماع والقياس).

تنبيه:

الاجتهاد عند الأصوليين: هو الذي يكون الغرض منه التوصل إلى الحكم الشرعي العملي دون غيره، فلا يكون الجهد المبذول لمعرفة الأحكام اللغوية، أو العقلية أو النحوية أو الحسية من نوع الاجتهاد الأصولي.

حاجة الأمة إلى الاجتهاد:

الاجتهاد ضروري لأن الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع، وقد أكمل الله الإسلام ووضع القواعد والأصول العامة، ليرجع إليها علماء المسلمين للتعرف على الحكم الشرعي لكل أمر جديد يحتاج إلى بيان الحكم الشرعي فيه.

ومن المعلوم أن العالم في تطور مستمر، وتقدم في شئون الحياة، ولذلك تنشأ في كل عصر وزمان مسائل ومشكلات جديدة لا بد من معرفة حكم الإسلام فيها ليهتدي به الناس، ويعرفوا الحلال والحرام

Deen 321 (2015).indd 85 04/08/2016 13:07:57

فـكان لا بد من الاجتهاد كمصدر من مصادر التشريـع الإسلامي فيما لا نص فيه، لأن ذلك هو المجال لاختلاف المجتهدين بسبب اختلاف البيئات والحوادث، والظروف و الأحوال.

ومهمـا تتبايـن آراء الفقهاء في مصـادر التشريع فإنهم جميعا يكادون يجمعون علـى كره التقليد وعلى دعوة المسلمين إلى الاجتهاد.

ولقـد امتاز الشرع الإسلامي بفتح باب الاجتهاد علـى مصراعيه لكل فقيه توافرت فيه شروط الاجتهاد في كل زمان ومكان، وله الأجر والثواب من الله في هذا الاجتهاد، مصداقا لقوله عليه الصلاة و السلام في معرض الحث على الاجتهاد: (جعل الله للمصيب أجرين، وللمخطئ واحدا)[1].

ومن هنا نرى أن حاجة الأمة ماسة إلى بيان الأحكام الشرعية للأمور المعاصرة والمستجدة، وذلك بإيجاد المجتمـع المسلم الذي ينمو فيه الاجتهاد، وتطبق فيه أحـكام الإسلام وتعاليمه، وتبرز فيه حاجة البشرية إلى هذه الأحكام والتعاليم النافعة لإسعاد بني الإنسان.

المجالات التي لا يجوز فيها الاجتهاد:

لا يجوز الاجتهاد في المجالات التالية:

١- ما ورد فيه نص قطعي الثبوت؛ لأن الواجب هو تنفيذ ما دل عليه النص.

٢- الأحـكام المفسرة التي تدل على المراد منها دلالة واضحة لا تحتمل تأويلا، كما في الصلاة والزكاة والحج بعد بيانها من الرسول عليه الصلاة والسلام، وإيضاح عدد الركعات لكل صلاة وشروطها وأركانهـا، ومقادير الزكاة في كل نوع، ومناسك الحج وبيـان ذلك كله بفعله وقوله عليه الصلاة والسلام.

٣- العقوبـات والكفارات المقـدرة، وما عُلم من الدين بالضرورة، كوجـوب الإيمان بالله وملائكته، ووجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج، وتحريم القتل و الزنا وأكل أموال الناس بالباطل وغيرها.

مجالات الاجتهاد:

يكون الاجتهاد في مجالات معينة هي:

١- الحـوادث والوقائع التي لم يرد فيها نص ولا إجماع، ومجـال الاجتهاد فيها هو البحث عن معرفة أحكامها بطريق القياس.

ومـن هذا النـوع: استخلاف الخليفة بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، فإنه لم يرد نص بشأن

١- رواه مسلم.

Deen 321 (2015).indd 86 04/08/2016 13:07:57

هـذه الواقعة، وحـين واجه المسلمون هذا الأمر، اجتهدوا واستقر رأيهـم على أن يكون الخليفة أبا بكـر الصديق ﷺ. فقد قاسوا مسألة الخلافة على أمر الرسول له بالإمامة في الصلاة حين اشتد عليه المرض فقال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس)، لهذا قالـوا: (رضيه رسول الله لأمر ديننا أفلا نرضاه لأمر دنيانا).

٢- الوقائـع التـي ورد بحكمها نص قطعي الثبـوت في الكتاب أو السنة لكنـه يحتمل أكثر من معنى، فتكون مجالاً للاجتهاد ببذل المجتهد وسعه للوصول إلى المراد من المعنيين اللذين يحتملهما النص. ومـن أمثلة ذلك قوله تعـالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾[1]. فإن لفظ (القُرء) في النصـ القـرآني القطعي الثبوت ظني الدلالة لأنه محتمل لأن يكـون المراد به الحيض، كما يحتمل أن يكون المراد به الطهر، و دلالة اللفظ على أحدهما دلالة ظنية، فكان ذلك من أسباب الاختلاف بين المجتهدين.

٣- الوقائـع التـي ورد بحكمها نص ظني الثبـوت، إلا أنه قطعي الدلالة. ولا يكـون هذا إلا في بعض الأحاديث فيكون مجال الاجتهاد فيه: هو البحث في طريق وصول الدليل إلينا ودرجة سنده ومبلغ رواته من العدالة والضبط والثقة والصدق، فهذه أمور تختلف فيها أنظار المجتهدين.
ومـن أمثلة ذلك قوله ﷺ: (في خمسـ من الإبل شاة) فإنه نص قطعي الدلالة لأنه لفظ خاص، ظني الثبوت لأنه لم يصلنا متواترًا، فكان محلاً للاجتهاد من جهة الظنية في الثبوت.

شروط المجتهد:

يشترط فيمن يكون أهلاً للاجتهاد الشروط التالية:

١- **الإسـلام والعدالـة**: لا بد في المجتهد أن يكون مسلمًا أمينًا، عـرف الله وصفاته، وعرف رسول الله ﷺ وآمن بأركان الإيمان، وغير المسلم غير مؤتمن على هذا الدين؛ فهو ليس أهلاً للاجتهاد والفتوى لكفره. وينبغي أن يكون المجتهد ورعًا بعيدًا عن الهوى؛ لأنه يؤخذ عنه الدِّين، ولا يؤخذ الدِّين عن فاسق. وإذا كان فقهاؤنـا قـد اشترطوا العدالة في الشاهد في حادثة من حوادث الدنيا، فاشتراط العدالة في المجتهد أولى لأنه مبلغ أحكام الله تعالى.

٢- **المعرفـة بكتـاب الله**: أن يعرف المجتهد معاني الآيات القرآنية كلهـا معرفة إجمالية، وأن يعرف معاني آيات الأحكام معرفة تفصيلية دقيقة؛ لأن هذا الكتاب هو المصدر الأول للأحكام الشرعية.

١- سورة البقرة، من الآية ٢٢٨.

Deen 321 (2015).indd 87 04/08/2016 13:07:57

وقد اعتنى بعض العلماء والمفسرين بآيات الأحكام ففسروها، وذكروا الأحكام المستنبطة منها عند الفقهاء، وعلى رأسهم الإمام القرطبي في تفسيره المسمى: الجامع لأحكام القرآن. وعلى المجتهد أن يعرف أسباب النزول للآيات الكريمة؛ لأنها تساعده على فهمها واستنباط الأحكام منها.

٣- **المعرفة بالسنة النبوية**: والمراد هنا معرفة طرق وصولها إلينا، وروايتها من تواتر أو شهرة أو آحاد، وحكم كل منها. ولا يشترط أن يكون حافظاً لها عن ظهر قلب. والمجتهد الذي يبذل جهده في استنباط الأحكام الشرعية من نصوصها، لا بد أن يكون مطلعا عليها، ولاسيما أحاديث الأحكام منها، عارفاً بالمتقدم منها والمتأخر، وما يصح منها وما لا يصح.

٤- **العلم بمواضع الإجماع**: أن يكون المجتهد عالما بالمسائل التي أجمع عليها العلماء، حتى لا يجتهد في محل مجمع عليه، وقد يخالف ما أجمعت عليه أمة محمد ﷺ، التي لا تجتمع على ضلالة.

٥- **معرفة وجوه القياس**: وذلك بمعرفة العلل والحكم التي شُرعت الأحكام بناءً عليها، والخبرة بوقائع الناس ومعاملاتهم حتى يعرف ما تتحقق فيه علة الحكم من الوقائع التي لا نص فيها. والخبرة بمصالح الناس وأعرافهم، وما يكون ذريعة إلى خير أو شر حتى يستطيع أن يُصدر حكمه في الوقائع التي لا نص فيها بالقياس.

٦- **العلم باللغة العربية**: إن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، ولغة السنة النبوية المطهرة، ونصوصها قد وردت في غاية الفصاحة والبلاغة والبيان؛ لذا يجدر بالمجتهد الذي يستنبط الأحكام من هذه النصوص الفصيحة، أن يكون متمكنًا من علوم اللغة.

٧- **معرفة الناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة**: أن يعرف الناسخ والمنسوخ حتى لا يعمل بالمنسوخ مع وجود الناسخ له، ويستطيع التعرف على ذلك بالرجوع إلى الكتب التي ألفها العلماء في هذا الموضوع.

٨- **العلم بأصول الفقه**: وهو علم يعين الفقيه المجتهد على استنباط الأحكام الشرعية، إذ لا يستطيع الفقيه التوصل إلى الحكم الشرعي واستنباطه من النص إلا إذا كان محيطا بقواعد علم أصول الفقه[١].

ومن قواعد علم أصول الفقه، مثلا:

- الأصل في الأمر أن يفيد الوجوب، ما لم ترد قرينة تصرفه من الوجوب إلى الندب.
- والأصل في النهي أن يفيد التحريم، ما لم ترد قرينة تصرفه من التحريم إلى الكراهة.

١- هو العلم بالقواعد التي يستعان بها على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية.

Deen 321 (2015).indd 88 04/08/2016 13:07:57

٩- **الاستعداد الفطري للاجتهاد**: أن يكون المجتهد متمتعًا بفهم صحيح، ونفاذ بصيرة، وصفاء ذهن، وحدة ذكاء، إذ من دون هذا الاستعداد الفطري لا يستطيع الشخص أن يكون مجتهدا.

تلك هي شروط الاجتهاد متى تحققت وتوافرت في شخص كان من المجتهدين، ولا فرق بين زمان وآخر لأن الاجتهاد ليس له زمن معين ولا وقت خاص.

الحكم الشرعي للاجتهاد:

قد يكون الاجتهاد واجبًا وجوبًا عينيًا، وقد يكون واجبًا وجوبًا كفائيًا، وقد يكون مندوبا.

١- يجب الاجتهاد وجوبًا عينيًا في حالتين:

أ - من سُئل عن حادثة وقعت فعلا، تعيّن المجتهد لبيان حكمها، وضاق الوقت بحيث يخاف فواتها إن لم يجتهد، ويُصدر حكمه.

ب - المجتهد الذي تنزل به الحادثة ويريد معرفة حكمها، فإنه يجب عليه أن يجتهد ولا يجوز له أن يقلد غيره.

٢- ويجب الاجتهاد وجوبًا كفائيًا في حالتين:

أ - إذا سُئل المجتهد عن حكم حادثة نزلت بفرد من الأفراد، وهناك غيره من المجتهدين، و لم يخف أن تفوت الحادثة، فإذا أفتى أحدهم سقط الطلب عن الجميع.

ب - إذا تردد الحكم بين قاضيين، فإن الاجتهاد يكون مشتركًا بينهما، فأيُّهما اجتهد وتفرد بالحكم سقط عن الآخر.

٣- ويكون الاجتهاد مندوبًا في حادثة لم تقع سواء سُئل عنها المجتهد أم لم يسأل.

Deen 321 (2015).indd 89 04/08/2016 13:07:57

التقـــويم

١– عرّف الاجتهاد لغةً واصطلاحا.

٢– هل يُعَدُّ مجتهدًا من يحفظ مجموعة من المسائل الفقهية؟ علل إجابتك.

٣– بيّن حاجة الأمة إلى الاجتهاد.

٤– ما المجالات التي لا يجوز فيها الاجتهاد؟

٥– اذكر المجالات التي يجوز فيها الاجتهاد.

٦– ما المقصود بالعدالة؟

٧– وضح أهمية المعرفة بكتاب الله تعالى للمجتهد.

٨– لماذا يشترط في المجتهد أن يكون عالمًا بمسائل الإجماع؟

٩– فسّر أهمية معرفة وجوه القياس للمجتهد.

١٠– بيّن أثر معرفة المجتهد الناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة.

١١– يجب الاجتهاد وجوبًا عينيًا في حالتين هما:

أ – .....

ب– .....

١٢– متى يكون الاجتهاد مندوباً؟

١٣– ضع إشارة (√) حول رمز الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

– **المجتهد هو الذي يمكنه أن يستنبط الأحكام:**

أ– اللغوية من الأدلة الشرعية.

ب– العملية من الأدلة الشرعية.

ج– العقلية من الأدلة الشرعية.

د– النحوية من الأدلة الشرعية.

– **الاجتهاد في حادثة لم تقع يكون:**

أ– فرض عين.

ب– مكروها.

ج– فرض كفاية.

د– مندوبا.

Deen 321 (2015).indd 90 04/08/2016 13:07:57

أدوار الاجتهاد

الدور الأول– اجتهاد الرسول ﷺ:

لابد أن نفرق بين ما يصدر عن الرسول ﷺ، فيما هو تشريع وما ليس بتشريع:

١– فهناك أمور دنيوية سبيلها التجربة في الحياة والخبرة بأحوالها فيما اعتاده الناس كشئون الزراعة والصناعة والطب وإدارة المعارك وغيرها. فمثل هذه الأمور الدنيوية يجتهد فيها الرسول ﷺ اجتهاد غيره، ولا يكون مسلكه فيها تشريعًا تلتزم الأمة بتطبيقه. ومن الأمثلة على ذلك:

- قول النبي ﷺ في تأبير النخل: (أنتم أعلم بأمور دنياكم)[١].
- نزل ﷺ في غزوة بدر على أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة، فأتاه الحُباب بن المنذر، فقال: يا رسول الله، أرأيتَ هذا المنزل؟ أهو منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه؟ أم هو الرأي و الحرب والمكيدة؟ فقال عليه السلام: بل هو الرأي والمكيدة. فقال: يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل، فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونغور ما وراءه من القليب، ثم نبني عليه حوضًا فنملأه فنشرب ولا يشربون. فاستحسن الرسول ﷺ هذا الرأي وفعله[٢].

٢– أما ما يصدر عن رسول الله ﷺ على وجه التبليغ في شأن من شؤون العقائد، أو العبادات، أو الأخلاق، أو القضاء، أو عقد المعاهدات والفصل في الخصومات، فكل هذا وما يتصل به يكون تشريعًا. وفي هذا القسم التشريعي يجوز للرسول ﷺ الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص من القرآن الكريم، فإذا وقع الاجتهاد صحيحًا كان تشريعًا، وان لم يكن كذلك نزل الوحي بتصحيحه:

- ففي غزوة بدر استشار الرسول ﷺ صحابته في أمر الأسرى، ماذا يفعل بهم؟ فكان رأي أبي بكر ﷺ أن يطلق سراحهم بلا مقابل، أما عمر ﷺ فرأى قتلهم. ولكن الرسول ﷺ أطلق سراحهم مقابل فدية يدفعونها. فأنزل الله سبحانه وحيه على رسوله الكريم مؤيدًا رأي عمر ﷺ. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[٣].

١– رواه البخاري ومسلم.

٢– سيرة ابن هشام.

٣– سورة الأنفال، الآيتان ٦٧، ٦٨.

Deen 321 (2015).indd 91 04/08/2016 13:07:57

- وفي غـزوة خيبر، لما أمسى النـاس في اليوم الذي فُتحت عليهم فيه خبـير، أوقدوا نيراناً كثيرة، فقـال الرسـول ﷺ: (ما هذه النـيران؟ على أيِّ شيء توقـدون؟). قالوا: على لحـم. فقال: (أيُّ لحـم؟). قالوا: الحمر الإنسية. فقال ﷺ: (أهريقوهـا واكسروها). فقال رجل: يا رسول الله، أو نهريقها ونغسلها؟ قال: (أو ذاك)[1]. فقد أخذهم الرسول ﷺ أولاً بالأشد، منعاً لهم من أكلها، فلمـا سلموا بالحكم وأشار بعض صحابته بالاكتفاء بغسل القدور بـدلاً من تكسيرها، وذلك للانتفاع بها، رخص لهم الرسول الكريم بذلك.

الدور الثاني– اجتهاد الصحابة في عهد الرسول ﷺ:

استدل أهل العلم بجواز الاجتهاد من الصحابة في عهد الرسول ﷺ بما يأتي:

١. إقـرار رسـول الله ﷺ معاذ بن جبل ﷺ على الاجتهاد فيما لم يجد فيه نصًا من القرآن الكريم أو السنة المطهـرة. فعـن معاذ ﷺ أن رسـول الله ﷺ لما بعثه قاضيًا إلى اليمن، قـال: كيف تصنع إن عرض لك قضـاء؟ قال: أقضي بما في كتـاب الله. قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله. قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي لا آلو. قال: فضرب عليه السلام على صدري، ثم قال: الحمد لله الذي وفَّق رسول رسول الله إلى ما يرضي رسول الله ﷺ[2].

٢. اجتهاد سعد بن معاذ ﷺ في أمر بني قريظة، إذ حكم فيهم الرسول ﷺ باجتهاد سعد. فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن أهل قريظة نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد، فأتاه فلما دنا قريباً من المسجد، قال رسول الله ﷺ: (قوموا إلى سيدكم، أو خيركم، فقعد عند النبي ﷺ، فقال: إن هـؤلاء نزلوا علـى حكمك، قال: فإني أحكـم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبـى ذراريهم، فقال: لقد قضيت فيهم بحكم الله عز وجل)[3].

٣. قـال الرسول ﷺ للأشخاص الذين أرسلهـم إلى يهود بني قريظة يوم الأحزاب: (لا يُصلّين أحدٌ منكم العصـر إلا في بني قريظة)، فاجتهـد بعضهم وصلاها في الطريق حين أدركتهم الصلاة، اجتهادًا منهم بأن الرسول ﷺ إنما قصد التعجيل بالمسير. واجتهد آخرون وأخروا الصلاة حتى وصلوا إلى بني قريظة وصلوا العصر ليلاً تنفيذًا لأمر الرسول الكريم، فلما علم الرسول ﷺ بذلك لم يخطئ أحدًا من الفريقين.

١– رواه البخاري.

٢– رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد.

٣– رواه البخاري ومسلم.

Deen 321 (2015).indd 92 04/08/2016 13:07:57

٤. وخرج رجلان من الصحابة في سفر فحضرت الصلاة وليس معهما ماء، فتيمما، ثم وجدا الماء في الوقت، فأعاد أحدهما الوضوء للصلاة و لم يعد الآخر. ثم أتيا رسول الله ﷺ فذكرا له ذلك. فقال للذي لم يُعد: (أصبتَ السنة وأجزأتك صلاتك). وقال للذي توضأ وأعاد الصلاة: (لك الأجر مرتين)[١].

ومما تجدر الإشارة إليه أن اجتهاد الرسول ﷺ في عصر التنزيل، أو إذنه لصحابته بالاجتهاد إنما كان من باب تعويد الصحابة وتدريبهم على النظر فيما يجد لهم من قضايا ومشاكل وما تحتاج إليه من حلول. وليبين للمسلمين طبيعة هذا الدين السمحة التي تعالج مشاكل الحياة بكل يسر وسهولة.

ولكن هل يُعَدُّ ذلك الاجتهاد، سواء الذي حصل من الرسول الكريم، أم من الصحابة في عهد الرسول مصدرًا للتشريع؟

إن مصادر التشريع الإسلامي هي الأربعة المعروفة: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، والقياس. والمصدران الأخيران: الإجماع والقياس يشترط فيهما أن يكونا بعد عهد النبي ﷺ. ونستنتج من ذلك أن اجتهاد الرسول الكريم واجتهاد صحابته في عهده إنما يردان إلى المصدرين الأولين القرآن والسنة، ولا يستقلان كمصدرين للتشريع الإسلامي.

الدور الثالث- الاجتهاد بعد وفاة الرسول ﷺ:

انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وترك لأمته شيئين عظيمين، هما: القرآن الكريم وسنته المشرفة، اللذان قال عنهما: (تركتُ فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض)[٢].

ونظرًا لما جدَّ من مشكلات بعد الفتوح الإسلامية في عهد الصحابة، وحاجة تلك المشاكل إلى حلول ناجعة، فقد اقتضت الحاجة إلى توسيع دائرة الفقه. ولم يكن بد من النظر في كتاب الله تعالى لحل أي مشكلة، فإذا لم يجد الفقهاء الحل في القرآن الكريم نظروا في سنة الرسول ﷺ لأنها بيان للقرآن، وعند عدم التمكن من الوصول إلى الحل المنشود لجأوا إلى أهل الرأي من فقهاء الصحابة، فإذا اجتمع رأيهم على شيء كان القضاء به.

وإذا كان الرسول ﷺ قد أذن لصحابته في الاجتهاد، كما مرَّ في حديث معاذ، فقد وجَّه الصحابة قضاتهم

١- رواه الدارمي.

٢- رواه النسائي وأبو داود.

Deen 321 (2015).indd 93 04/08/2016 13:07:57

هذه الوجهة كذلك. وهذا ما نجده في كتاب عمر بن الخطاب ﷺ إلى القاضي شُريح حيث جاء فيه: «إذا وجـدتَ شيئًـا في كتاب الله فاقضِ به، ولا تلتفت إلى غيره، وإن أتـاك شيءٌ ليس في كتاب الله فانظر ما سـنّ فيـه رسول الله ﷺ، فإن أتاك ما ليس في كتـاب الله و لم يسنّ فيه رسول الله ﷺ، فاقضِ بما أجمع عليه الناس، وإن أتاك ما ليس في كتاب الله، ولا سنة رسول الله ﷺ، و لم يتكلم فيه أحد قبلك، فإن شئتَ أن تجتهد رأيك فتقدم، وإن شئت أن تتأخر فتأخر، وما أرى التأخر إلاّ خيرًا لك»[1].

وقد ازدهر عصر الاجتهاد خلال هذه الفترة (فترة الصحابة والتابعين وحتى نهاية القرن الثالث الهجري). وذكر ابن القيم الجوزية في كتابه إعلام الموقعين: إن الذين حفظت عنهم الفتوى (الاجتهاد) من أصحاب رسول الله ﷺ، مائة ونيف وثلاثون ما بين رجل وامرأة. وصنفهم ابن القيم إلى مثرين ومتوسطين ومقلّين. وعرفـت المدينة المنورة عددًا من التابعين كانـوا أعلامًا في الاجتهاد كسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وغيرهما، وجاء من بعدهم الأئمة الأربعة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل.

الدور الرابع– عصر التقليد:

توقـف الاجتهاد منذ منتصف القـرن الرابع الهجري، وأظلت المسلمين فترة فـترت فيها همم العلماء، فانصرفـوا عن الاشتغال بالعلوم الشرعيـة التي تربي فيهم ملكة الاجتهاد، حتى مـن اشتغل منهم بالفقه والاجتهاد لم يكونوا مؤهلين لذلك.

فما أسباب الانصراف عن الاجتهاد مع حاجة الأمة إليه؟

فيما يلي الأسباب الرئيسة لذلك:

١. ضعف الوازع الديني في النفوس، وانتشار الفساد في المجتمع.

٢. عدم تشجيع الخلفاء والحكام للمجتهدين، سواء أكان ذلك بالحوافز المعنوية أو المادية.

٣. شيوع تطبيق القوانين الوضعية في مختلف جوانب الحياة، وإبعاد أحكام الشريعة عن التطبيق.

٤. اضطهاد المجتهدين وحرمانهم من وظائفهم والتضييق عليهم في مصادر رزقهم.

٥. قيام بعض مدعي الفقه بالاجتهاد قبل استكمالهم لشروطه. مما ينتج عنه إصدار أحكام غير صحيحة.

١– رواه الحاكم.

Deen 321 (2015).indd 94 04/08/2016 13:07:57

إغلاق باب الاجتهاد:

كانت الأسباب المشار إليها سابقًا، وعلى وجه الخصوص قيام بعض مدعي الفقه بالاجتهاد وهم ليسوا أهلاً له، الدافع الأساسي إلى إعلان بعض العلماء، ممن عُرفوا بالغيرة على الدين وأحكامه، إغلاق باب الاجتهاد حتى لا يقال في الدين ما ليس منه. واتجه المجتمع بعد ذلك إلى التقليد والانتصار لأصحاب المذاهب الفقهية يرجحون بعضها على بعض، وقد يصل بهم الأمر في بعض الأحيان إلى التزمت والتعصب دونما دليل.

ومع ذلك فإن هذا الدور لم يخل من علماء ثاروا على الجمود، وتمردوا على التقليد واجتهدوا في الأمور التي عرضت عليهم، ولكن مذاهبهم لم تنتشر كالمذاهب التي ظهرت في الدور الثالث من أدوار الاجتهاد. ومن هؤلاء العلماء: ابن تيمية وأشهر كتبه: الفتاوى، ورسالة في الشريعة الإسلامية. وابن القيم الجوزية، وأشهر كتبه: زاد المعاد في هدي خير العباد، وإعلام الموقعين.

باب الاجتهاد مفتوح:

وعلماء المسلمين اليوم يواجهون مسؤولية كبرى في استنباط الأحكام الشرعية للأمور الجديدة التي نشأت بسبب التوسع في المعاملات، وكثرة الاختراعات، وظهور أفكار وآراء ومذاهب عديدة.

وباب الاجتهاد مفتوح للعلماء الذين تتوافر فيهم شروط الاجتهاد، ولا يجوز أن يُلتفت إلى قول من قال بإغلاقه، لأن في ذلك تعطيلاً للشريعة، ورميًا لها بالجمود وعدم صلاحها لمعالجة مشكلات الحياة. إضافة إلى إيقاع المسلمين في حرج وضيق مما يضطرهم إلى الاستعانة بالقوانين الوضعية لحل مشكلاتهم. وقد اتخذت محاولات فتح باب الاجتهاد صورًا متعددة كالمؤتمرات ومجامع البحوث والندوات، التي يُحشد لكل منها أعداد كبيرة من العلماء، خاصة بعد أن استجدت على الناس قضايا حديثة لا بد أن يكون للفقهاء موقف منها مثل: زرع الأعضاء، وأطفال الأنابيب، ونقل الجينات وغيرها.

Deen 321 (2015).indd 95 04/08/2016 13:07:57

التقـــويم

١- بيّن الفرق فيما صدر عن الرسول ﷺ من الأمور التشريعية وغير التشريعية.

٢- اذكر مثالاً واحداً لاجتهاد الرسول ﷺ في الأمور غير التشريعية، ومثالين لاجتهاده في الأمور التشريعية.

٣- ما حكم اجتهاد الصحابي في عهد النبي ﷺ؟

٤- هات حادثة اجتهد فيها صحابي في حضرة النبي ﷺ.

٥- استشهد بحادثة اجتهد فيها صحابي بغيبة الرسول ﷺ.

٦- ضع إشارة (√) أمام العبارة الصحيحة مما يلي:

- **قول الرسول ﷺ: (أنتم أعلم بأمور دنياكم) صدر في شئون:**

أ - الجهاد.

ب- القضاء.

ج- الزراعة.

د- الطب.

- **إقرار رسول الله ﷺ معاذًا على الاجتهاد، كان في دور الاجتهاد:**

أ - الأول.

ب- الثاني.

ج- الثالث.

د - الرابع.

٧- من دواعي انصراف الفقهاء عن الاجتهاد بعد عهد الأئمة المجتهدين:

أ - .....

ب - .....

ج - .....

٨- ما الأمر المباشر الذي دعا العلماء إلى إغلاق باب الاجتهاد؟

٩- لقد تمرد بعض العلماء في الدور الرابع على قرار إغلاق باب الاجتهاد، ومن أشهر هؤلاء العلماء:

- .....
- .....

١٠- ماذا كان أثر إغلاق باب الاجتهاد على المسلمين؟

١١- كيف يواجه المسلمون المشكلات الطارئة الحديثة ويبينوا حكم الشريعة فيها؟

Deen 321 (2015).indd 96 04/08/2016 13:07:57

اختلاف المجتهدين

إن المتتبع للأحكام الشرعية في الأمور الفرعية، سواء أكانت في العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج... الخ أو في المعاملات كالإجارة والرهن والبيوع والوكالة ... وغير ذلك، يجد بعض الاختلاف بين الأحكام الشرعية التي يقررها علماء هذه الأمة ومجتهدوها، ليس في عصر بعينه فحسب، وإنما لعصور كثيرة بعد الرسول ﷺ.

والناس حيال هذه القضية فريقان:

فريق يدرك طبيعة هذا الدين من حيث سماحته ومرونته ومسايرته لكافة جوانب الحياة، وقدرته الذاتية التي تستجيب لمتطلبات كل عصر وحاجات أممه وأفراده. فيرى في هذا الاختلاف حول إعطاء الحكم الشرعي لمسألة ما في العبادات أو المعاملات نوعًا من اليسر والسهولة اللذين أرادهما الله ورسوله لهذه الأمة والبشرية جمعاء، ويحقق لهذا الدين أيضًا رفعته وسموه عندما يستجيب فقهاؤه لقضايا العصر فينبرون لحلها ويضعون من الأحكام ما يحقق المصلحة العامة للأمة، ليس لفترة زمنية واحدة وإنما لعصور لاحقة.

أما الفريق الثاني، فإنه إما لجهله بطبيعة هذا الدين، أو لتحقيق أهداف خطيرة، أبرزها النيل من هذا الدين وتقويض أركانه، تراهم يتخذون من هذه القضية الواضحة والضرورية في الوقت نفسه، يتخذون منها أداة طعن في الإسلام والمسلمين. فيقولون: إذا كان الإسلام واحداً فيعني أن هذه الأقوال كلها ليست إسلاماً!!

وأفضل ردّ على هذا النفر الأخير، وما يردده من أمور مفتراة، هو مواقف الرسول ﷺ في أقواله وأفعاله وتقريراته التي سبق أن تعرضنا لها في الدروس السابقة وكيف أنه ﷺ وهو الأمين على تبليغ رسالة ربه، كان يقر وجهتي النظر المتضادتين في الحادثة الواحدة. ولكن هذا التضاد ليس من النقيض إلى نقيضه كالصدق والكذب، والجبن والشجاعة، والبخل والكرم، وإنما هو تضاد من وجه واحد لا يحمل النقيض، بمقدار ما يتجلى فيه الحرص على مصلحة الإسلام والمؤمنين به.

إلاّ أن هذا الاختلاف له أسبابه ومبرراته، فما تلك الأسباب والمبررات؟

Deen 321 (2015).indd 97 04/08/2016 13:07:57

أسباب اختلاف المجتهدين:

يحرص المجتهدون في كل عصر على تنبيه المسلمين بأنهم جميعاً ينهلون من منهل واحد، وهو الإسلام بمصدريه الأساسيين: القرآن الكريم بقواعده الكبرى وأسسه الراسخة، والسنة النبوية المبينة والموضحة لذلك الدستور العظيم، ولذلك كان شعار أولئك المجتهدين: كلنا من رسول الله ﷺ ملتمس (أي متلق وآخذ)، وكان كل واحد منهم يُكِنُّ لزميله تقديراً خاصاً وثقة كبيرة بعلمه وفضله.

وتعود أسباب الاختلاف في بعض الأحكام التي صدرت منهم إلى الأسباب التالية:

١- اختلاف قدراتهم ومواهبهم:

مما لا شك فيه أن الناس متفاوتون في قدراتهم العقلية والذكائية وغيرها، وقد يكون الإنسان قويًا في جانب من تلك القدرات، وضعيفاً في الجانب الآخر، وبهذا تتكامل الأمة. وما ينطبق على الناس كافة ينطبق على المجتهدين، ولهذا وجدنا أن الإمام أحمد بن حنبل قد فاق غيره فيما يسمى بدائرة الشروط العَقْدية، فقد تجلت قدراته في قضايا المعاملات وما يلزمها من شروط وقيود وتوثيق بأسلوب عزَّ أن نجد له نظيراً، وكذلك الحال عند الإمام الأكبر أبي حنيفة الذي استجاب لمتطلبات عصره فكان اجتهاده وفقهه أكثر مراعاة للاحتمالات والتوقعات من فقه غيره واجتهاده (كما سيظهر ذلك في طريقة كل منهم في الاجتهاد).

٢- اختلاف البيئات والأزمنة:

من المعروف أن الإمام الشافعي قد وضع مذهبه وهو في العراق، وعندما سافر إلى مصر وهي بيئة مختلفة عن بيئة العراق، وفيها من القضايا والمشكلات ما تختلف في طبيعتها عن تلك التي عايشها في العراق، غيّر في مذهبه، وكانت له فتاوى وأحكام تختلف عما قاله في مذهبه الأول.

ولقد قرّر علماء هذه الأمة قاعدة جوهرية تراعي البيئات المختلفة والأزمنة المتعاقبة فقالوا: (لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان). ولكن ما الأحكام التي قصدوها؟ إنها الأحكام الفرعية التي تخضع لاجتهاد العقل وتتأثر بعادات الأمة وأعرافها مما لا يتصادم مع نصّ شرعي.

٣- تشدد المجتهد أو تساهله في قبول الأحاديث:

جميع المجتهدين متفقون على جواز الاحتجاج بالأحاديث الشريفة في الأحكام الشرعية، إلاّ أن لكل مجتهد طريقته وشروطه الخاصة في الحديث الشريف ودلالته على الحكم، وطريقة روايته وغير ذلك. ولهذا فإن حكم المجتهد قد يتأثر إذا رفض قبول حديث لأن في رواته شخصاً مجهولاً أو

Deen 321 (2015).indd 98 04/08/2016 13:07:57

معروفـاً بسوء الحفظ أو غـير ذلك. كما يتأثر حكمه فيما إذا لم يصله حديث ما، أو وصله ولكنه لم يحتج به. وفي كل الأحوال لابد من أن نعلم علم اليقين أنه ما من مجتهد تعمد مخالفة الرسول ﷺ في شيء من سنته.

٤ – احتمال اللغة لعدة معان:

ومـن الأمور التـي تؤثر في حكم المجتهد أخـذه بمعنـى واحد يظنه الأكثر دقـة، بينما يرى مجتهد آخـر أنّ غـير هـذا المعنى أكثر سلامـة ودقة منه. ومن الأمثلـة على ذلك قول الله تبـارك وتعالى في الآيـة التـي تحـدد فروض الوضـوء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾[1]. فقـد عدَّ بعض الفقهـاء الباء في كلمـة (برؤوسكم) زائدة تفيد معنى التوكيد، فيكون الواجب في هذه الحالة مسح الرأس كله، ورأى آخرون أن الباء هنا تفيد التبعيض ولهذا قال: بأن الحكم هو مسح بعض الرأس.

هـذه بعض الأسباب التي كانت وراء اختلاف، المجتهدين فيما توصلوا إليه من أحكام شرعية. وإن من يتأمل هذه الأسباب وما أدت إليه يخرج بما يلي:

١. حرص فقهاء الإسلام على خدمـة دينهم ببذل قصارى جهدهم للتوصـل إلى الحقيقة وتطبيق الشريعة.
٢. التكامل الواضح بين ما يتوصل إليه مجتهد في عصر من العصور مع ما يتوصل إليه من يأتي بعده.
٣. صلاح الشريعة ووفاؤها بمتطلبات حاجات الناس في كل عصر.
٤. اتسـاع بحوث الفقهاء وتضمنها البحوث المؤيـدة بالبراهين، فشملت أحكاماً لحوادث لم تقع أصلاً.
٥. تدويـن علـم أصول الفقه، وظهـور المصطلحات الفقهيـة: حيث حدّد العلمـاء معنى الفرض والواجب والمسنون والمندوب والحرام والمكروه، وغير ذلك. كما بينوا الأصول التي بنوا عليها اجتهادهم، وأول من أفرد ذلك بالبحث الإمام الشافعي في رسالته المشهورة في علم الأصول.

١– سورة المائدة، من الآية ٦.

Deen 321 (2015).indd 99 04/08/2016 13:07:58

التقـــويم

١– الناس حيال اختلاف المجتهدين فريقان، وضّح ذلك.

٢– كيف ترد على من يتخذ من اختلاف المجتهدين أداة طعن في الإسلام والمسلمين؟

٣– من أسباب اختلاف المجتهدين: اختلاف البيئات والأزمنة. بيّن ذلك.

٤– ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي::

( ) أحاط جميع العلماء بحديث رسول الله ﷺ.

( ) كان شعار الأئمة المجتهدين: كلنا من رسول الله ملتمس.

( ) اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، فعرضت للناس وقائع جديدة.

( ) تقاعس الخلفاء المسلمون عن تشجيع الحركة الفقهية ومجالس العلم.

٥– ايت بمثال على احتمال اللغة العربية لعدة معانٍ، وفسّره.

٦– اذكر أربع فوائد كانت وراء اختلاف المجتهدين.

Deen 321 (2015).indd 100 04/08/2016 13:07:58

الفصل الخامس:

الأئمة الأربعة
ومناهجهم في الاجتهاد

Deen 321 (2015).indd 101 04/08/2016 13:07:58

Deen 321 (2015).indd 102 04/08/2016 13:07:58

نظـراً لتشجيـع الإسلام على الاجتهاد وحثه عليه، لإيجاد حلول لكل ما يجدّ من مشكلات وقضايا في المجتمع، فقد كثر المجتهدون، لاسيما في العصور الإسلامية الأولى، حتى بلغوا الآلاف.

ولقـد كان لهؤلاء المجتهدين مذاهـب فقهية خاصة بهم، إلا أن بعضها لم يتـح له النشر ولذلك سميت بالمذاهب الفردية. كمذهب سفيان الثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي. ومحمد بن جرير الطبري.

وبعض تلك المذاهب كان لها أتباع وتلاميذ نقلوا آراء أصحابها، وانتشرت بين الناس، وكوّنت مدارس خاصـة بها، ولا يزال لها في العالم الإسلامـي أتباع كثيرون. ومن هذه المذاهب والتي دعيت بالمذاهب الجماعية: المذهب الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي.

وفيما يلي ترجمة لسيرة الأئمة الأربعة الذين اشتهرت مذاهبهم وشاعت بين الناس:

١- الإمام أبو حنيفة النعمان

اسمه ومولده:

هو النعمان بن ثابت ويكنى بأبي حنيفة، ولد في الكوفة سنة ٨٠ هـ في خلافة عبد الملك بن مروان.

نشأته ومنزلته في الفقه:

نشـأ في الكوفـة وكانت إحدى مراكز العلم، ومارس فيها تجارة الخـز[١]، فربح كثيراً من المال، ثم أخذ بدراسـة العلـم دون أن ينقطع عـن التجارة وكان ذلك بإشارة من الإمـام الشعبي – من كبار التابعين – عندما رآه ذكياً فصيحاً.

فبدأ بدراسة علم التوحيد، الذي أكسبه قوة الحجة، وبراعة القياس، والقدرة على الاستنباط والاجتهاد. ثم درس الفقه على يد (حماد بن سليمان) حتى أصبح من أكبر أعلامه، ولما مات حماد أجمع الكوفيون على اختيار أبي حنيفة خلفاً له، وسار ذكره في الآفاق، واعترف الخلفاء والعلماء بفضله، ورسوخ قدمه في العلـم. قال الشافعي: الناس في الفقـه عيال على أبي حنيفة[٢]. وهو أول من دون علم الفقه، ورتبه أبواباً وفصولاً، وكان الناس قبله يعتمدون في الفقه ومسائله على حفظهم.

١- نوع من الحرير.

٢- وفيات الأعيان ج٣.

Deen 321 (2015).indd 103 04/08/2016 13:07:58

رحل أبو حنيفة إلى البصرة بعدما نضج علمياً، ثم عاد إلى الكوفة، وتردد على بغداد، وكان يلقى العلماء ويباحثهم، ويُدرِّس في المسجد، ويفتي الناس.

خلقه وزهده:

كان أبو حنيفة على جانب كبير من الخلق وحسن الأدب لا يخوض فيما لا يعينه، طويل الصمت إلا إذا تحدث في العلم.

وكان ذكياً صاحب حجة دامغة، وقد كثر حسّاده لمكانته في العلم فكان يقول فيهم: (عفا الله عمن قال فينا مكروهاً، ورحم الله من قال فينا جميلاً).

وكان تقياً أميناً في علمه وعمله، وعابداً ورعاً كثير الخشوع والتضرع إلى الله تعالى. وكان سخياً كريماً يعين المحتاجين، وبخاصة طلاب العلم، مما يعطيه الله من أرباح تجارته في الخز.

عرض عليه بعض الولاة والخلفاء القضاء، فامتنع لورعه وتقواه وتخوفه من ظلم الناس، وقد حُمل على تولي القضاء حملاً، فأصرَّ على الرفض، فكان ذلك سبب سخط الحكام عليه، وسجنه، وجلده بالسياط.

ولما أراد المنصور العباسي أن يُسند إليه القضاء أبى أن يتولاه، وقال: إني لا أصلح لذلك. فاتهمه المنصور بالخروج على طاعته، وأمر به إلى الحبس، فمات وهو في السجن عام ١٥٠هـ[١] في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي[٢].

مذهبه وطريقته في العلم:

انتشر مذهبه لسعة علمه، وكثرة تلاميذه، وحسن اجتهاده، وجمال أسلوبه في تعليم تلاميذه، فكان يطرح المسألة عليهم ويجعلهم يفكرون فيها، ثم يناقشهم ويناظرهم.

وكان صاحب مدرسة في الاجتهاد هي: (مدرسة الرأي)، وبرع في القياس والاستحسان[٣] وتوسع فيهما هو وأصحابه أكثر من باقي الأئمة.

ولم يقف أبو حنيفة في اجتهاده عند المسائل الواقعية التي تعرض للناس في حياتهم، بل اشتغل إلى جانب هذا بفرض المسائل التقديرية التي لم تقع، فكان يفرض المسألة ويقلّبها على جميع وجوهها، ثم يستنبط مع تلاميذه الأحكام لكل وجه من الوجوه، مما كوَّن عندهم القدرة على الاجتهاد وزادهم قوة في القياس.

١- وفيات الأعيان ج٥.

٢- معجم الأدباء ج ١٤ ص ٢٨٢.

٣- عرف العلماء الاستحسان: بأنه العدول عن قياس جلي إلى قياس خفي لعلة يستحسنها المجتهد.

Deen 321 (2015).indd 104 04/08/2016 13:07:58

وقد نشط فقه الرأي على يد أبي حنيفة وأصحابه الذين ربطوا مسائل الشريعة بعضها ببعض، وردوا كل طائفة منها إلى أصل تُبنى عليه، حتى أصبح الفقه علماً ذا قواعد وأصول، واتسعت بذلك دائرة الفقه، ودون أبواباً وفصولاً.

أصول مذهبه:

ويقوم مذهب الإمام أبي حنيفة على الأصول التالية بالترتيب:

١. القرآن الكريم.

٢. السنة الصحيحة، وكان يحتاط ويتثبت فيما يروي من الأحاديث.

٣. إجماع الصحابة.

فإن لم يتعرض الصحابة مطلقاً للحكم في المسألة اجتهد برأيه، واستعان بالقياس فيما لا دليل عليه من الأصول السابقة، وقدَّمه على خبر الواحد.

وهذه الأصول مأخوذة من قوله: (إني آخذ بما في كتاب الله، فإن لم أجد فيه الحكم فبسنة رسول الله فإن لم أجد منهما رجعت إلى ما اتفق عليه الصحابة، فإن اختلفوا أخذت من أقوالهم ما كان قريباً من القرآن أو السنة، فإن لم أجد للصحابة رأياً لم آخذ بقول من التابعين بل أجتهد كما اجتهدوا)[١].

أشهر تلاميذه:

ومن أشهر تلاميذه الذين عملوا على نشر مذهبه، والتأليف فيه، وتوضيح مسائله:

١. أبو يوسف قاضي القضاة زمن المهدي والهادي والرشيد.

٢. محمد بن الحسن الشيباني صاحب الفضل الأكبر في تدوين المذهب الحنفي، وله كتب كثيرة تعد أصول المذهب الحنفي: أهمها: (الجامع الكبير، والجامع الصغير، والسير الكبير، والسير الصغير، والمبسوط، والزيادات).

٣. زُفَر بن الهذيل الذي تولى قضاء البصرة.

أسباب انتشار المذهب الحنفي:

١. صلة تلاميذ أبي حنيفة الوثقى بالخلفاء، مما مكّنهم من نشره في أمصار كثيرة.

٢. العصر الذي ازدهر فيه المذهب الحنفي كان عصر الازدهار الفكري.

٣. سهولة هذا المذهب.

وهو ينتشر الآن في: الباكستان وتركستان والأفغان، وتركيا، وألبانيا، والبلقان، والشام، والعراق، ومصر.

١- إعلام الموقعين. ج٢.

Deen 321 (2015).indd 105 04/08/2016 13:07:58

٢- الإمام مالك بن أنس

نسبه ونشأته:

هو مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي، نسبة إلي ذي أصبح من ملوك اليمن المولود بالمدينة المنورة سنة ٩٣ هـ والمتوفى بها سنة ١٧٩ هـ[١].

أدرك خيار التابعين من المحدثين والفقهاء، وتعلم منهم، فأخذ عن نافع مولى عبد الله بن عمر، وعن ابن شهاب الزهري، وآخرين. كان جده صحابيًا، وأبوه تابعيًا، مما أثَّر في تقواه، وجدَّ في طلب العلم واهتم بالسنة النبوية حتى صار إمامًا فيها.

مكانته العلمية:

أصبح مالك إمام دار الهجرة وعالم المدينة وشهد له شيوخه بأنه إمامٌ من أئمة الحديث والفقه، وجلس للرواية والإفتاء وسنُّه سبع عشرة سنة. قال عن نفسه: (ما جلستُ للإفتاء حتى شهد لي سبعون شيخًا من أهل العلم أني أهلٌ لذلك)[٢].

اشتهر خبره في البلاد الإسلامية وقصده الناس للعلم من كل مكان، وساعد على ذلك إقامته في المدينة المنورة.

وأجمع العلماء على أنه إمامٌ في الحديث، وقد قيل: إنه حفظ مائة ألف حديث وضع منها كتابه (الموطأ)، أول كتاب وصل إلينا في الحديث. وقد رتبه على حسب موضوعات الفقه، وضمَّنه بعض الموضوعات التي استنبطها.

احترمه الخلفاء والعلماء والولاة وأجلوه، وضُرب به المثل في العلم فقيل: (لا يُفتى ومالك بالمدينة). وقال عنه تلميذه الشافعي: (لم يبلغ أحد العلماء مبلغ مالك لحفظه وإتقانه، ومن أراد الحديث الصحيح فعليه بمالك). وقد طُلب للقضاء فرفض ورعاً خشية أن يظلم أحدًا من الناس، وقد عُذِّب وضُرب بالسياط حتى خُلعت كتفه.

واتفق العلماء على أن مالكا كان إماما في الحديث، وأن روايته موثوق بها. قال أبو داود: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر. ومن العلماء من يسمي هذا السند (سلسلة الذهب).

١- وفيات الأعيان ج ٣.

٢- حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٦.

Deen 321 (2015).indd 106 04/08/2016 13:07:58

أصول مذهبه:

استمد مالك فقهه من الأصول الآتية بالترتيب وهي:

١- القرآن الكريم.

٢- حديث الرسول ﷺ.

٣- أقوال الصحابة رضوان الله عليهم.

٤- أقوال التابعين.

٥- عمل أهل المدينة.

٦- القياس إذا لم يكن نص من كتاب أو سنة، أو عمل لأهل المدينة.

خواص مذهبه:

- تتمثل فيه طريقة المحدثين من أهل الحجاز، فيقف عند المروي من السنة ويكره التوسع في المسائل وفرضها قبل وقوعها، كما كان يفعل أبو حنيفة وأصحابه.
- يقدم عمل أهل المدينة على القياس، وعلى الحديث الذي يرويه واحد، ويخالفه أكثر فقهاء الأمصار؛ لأن أهل المدينة ليسوا معصومين من الخطأ.
- يأخذ بالقياس والعرف[١] والمصلحة العامة، ويشترط للأخذ بالمصلحة عدة شروط أهمها:

١- أن لا تنافي المصلحة أصلاً من أصول الإسلام، ولا دليلاً قطعيًا من أدلته.

٢- أن تكون المصلحة مقبولة عند ذوي العقول السليمة.

٣- أن يرتفع بها الحرج لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٢].

من صفاته:

- عُرف مالك بالوقار والسكينة، وكان يقول: (حقٌّ على من طلب العلم أن يكون فيه وقار وسكينة وخشية). قال فيه أحمد بن حنبل: (كان مالك أعظم الخلق مروءة، كثير الصمت، قليل الكلام، من أشد الناس مداراة للناس واستعمالاً للإنصاف، وكان من أحسن الناس خلقا مع أهله وولده وتلاميذه).
- ولا يدعي مالك أنه أحاط بكل شيء علمًا، ولم يجد الغرور العلمي إلى نفسه مدخلا، وترفّع عن الفتوى فيما لا علم له به. وكان إذا أفتى بشيء تلا هذه الآية: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾[٣].

١- والعرف: ما أعتاده الناس من معاملات واستقامت عليه أمورهم. لقول الرسول ﷺ: (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن).

٢- سورة الحج، آية ٧٨.

٣- سورة الجاثية، آية ٣٢.

Deen 321 (2015).indd 107 04/08/2016 13:07:58

- وكان ذا مهابة وقوة في الحق، فحين طلب منه هارون الرشيد، أن ينتقل إلى قصره ليقرأ كتابه (الموطأ) على ولديه الأمين والمأمون، قال له: أعزَّ الله أمير المؤمنين، إن العلم يُؤتى ولا يأتي.
- ولما أراد الرشيد أن يبعث بكتاب الموطأ إلى الأقطار ليكون مرجعًا للمسلمين فيها، ويحمل الناس عليه، وخاطب مالكا في ذلك، أجابه: (يا أمير المؤمنين: إنّ أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع، وافترقوا في البلدان، وكل عند نفسه مصيب. وإن اختلاف العلماء رحمة من الله على هذه الأمة. كل يتبع ما صحَّ عنده، وكل على هدى، وكل يريد الله).
- وكان شديد التقوى، أمينا ورعًا، محبًّا لرسول الله ﷺ، كريمًا، فمن حبه لرسول الله ﷺ؛ أنه كان لا يركب دابةً في المدينة إجلالاً لأرضٍ دفن فيها، ولا يخرج لقراءة الحديث إلا بعد أن يغتسل، ويلبس أحسن الثياب، ويتطيَّب.

تلاميذه:

ومن أشهر الذين أعانوه على نشر مذهبه:

- عبد الله بن وهب، وعبد الله بن الحكم، وعبد الرحمن بن القاسم بمصر.
- وأسد بن الفرات فاتح صقلية، وعبد السلام بن حبيب المعروف بسحنون بتونس.
- ويحيى بن يحيى الأندلسي الذي نشر هذا المذهب في الأندلس.

وقد روى عن مالك كثيرون، منهم من كانوا شيوخًا له كالزهري، ويحيى بن سعيد، ومنهم من كانوا من أقرانه كالأوزاعي، وسفيان الثوري، ومنهم الذين أخذوا عنه كالشافعي، وابن المبارك.

وينتشر مذهبه: في ليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب، وصعيد مصر، و السودان.

Deen 321 (2015).indd 108 04/08/2016 13:07:58

التقـــويم

١– اذكر ثلاثة أمثلة لكل من المذاهب الفردية والجماعية.

٢– لماذا وجَّه الشَّعبي أبا حنيفة إلى العلم؟

٣– عدد ثلاث خصال من أخلاق أبي حنيفة.

٤– وضّح المصادر التي استخلص أبو حنيفة فقهه منها.

٥– اذكر ثلاث فوائد ربحها الفقه الإسلامي من اشتغال أبي حنيفة بالفقه التقديري.

٦– من هم أشهر تلاميذ أبي حنيفة؟ وما أسباب انتشار مذهبه؟

٧– ما موقف الإمام أبي حنيفة من خبر الواحد؟

٨– يُعَدُّ مالك من أئمة الفقه والحديث معاً، وضّح ذلك.

٩– عدد ثلاث خواص تميز بها مذهب الإمام مالك.

١٠– لماذا لم يوافق مالك على أن يكون الموطأ مرجعاً للمسلمين؟

١١– روى عن مالك كثيرون:

– فمن شيوخه:

١– .....

٢– .....

– ومن أقرانه:

١– .....

٢– .....

– ومن تلاميذه:

١– .....

٢– .....

١٢– أين يكثر أتباع مالك الآن؟

١٣– قارن بين طريقة الإمام أبي حنيفة وطريقة الإمام مالك في الاجتهاد.

Deen 321 (2015).indd 109 04/08/2016 13:07:58

٣- الإمام الشافعي

نسبه ونشأته:

هو محمد بن إدريس الشافعي القرشي، يتصل نسبه الشريف بالرسول الله ﷺ في (عبد مناف). وموطن آبائه مكة؛ إلا أن أباه خرج إلى غزة لأمر، وهناك ولد الشافعي سنة ١٥٠ هـ، ثم مات أبوه وعمره سنتان، فعادت به أمه إلى مكة حيث نشأ يتيما.

إقباله على العلم:

سكن الشافعي في بلد الله الأمين، بجوار بيته الحرام، مهبط وحي السماء بين أحضان العلم والعلماء، ففتح بصره وبصيرته في المسجد الحرام على عشرات المحدثين والفقهاء، وعلى الرغم من نشأته يتيمًا فقيرا، لكنه أكبَّ على العلم منذ نعومة أظفاره، وحفظ القرآن وهو ابن تسع سنين، ثم خرج إلى البادية؛ فاستفاد فصاحةً وبلاغةً وأدبا، وروى الكثير من شعر العرب.

كان الشافعي ذكيًّا، وأوتي الحكمة صبيًّا؛ كان يقول (كنت في الكُتَّاب أسمع المعلم يلقن الصبي الآية فأحفظها أنا)[١]. حفظ موطأ مالك، ولزم مسلم بن خالد الزنجي شيخ الحرم المكي ومفتيه، وأخذ عنه حتى أذن له بالإفتاء وعمره خمس عشرة سنة.

رحلته في طلب العلم:

رحل الشافعي إلى المدينة فقرأ الموطأ على الإمام مالك، ثم رحل إلى العراق واجتمع بكبار علمائها، ثم رحل إلى بلاد فارس مدة سنتين واجتمع بعلمائها، ثم عاد إلى المدينة، ومنها رحل إلى اليمن، ثم عاد إلى بغداد واجتمع بهارون الرشيد وناقشه في العلم.

واطلع على كتب فقهاء العراق، وأضاف ذلك إلى ما عنده من طريقة أهل الحديث، وقد انضم إليه جماعة من علماء العراق وصاروا يأخذون عنه، وهناك أملى عليهم كتابه (الحجة) الذي حوى مذهبه القديم. وألف في أصول الفقه كتابه (الرسالة).

ثم سافر إلى مصر، وهناك كثر تلاميذه وطارت شهرته في الآفاق، وأقبل الناس عليه، وأملى على تلاميذه كتاب (الأم)، مشتملا على مذهبه الجديد الذي انتهى إليه اجتهاده في مصر؛ لأنه رأى عادات وأحوالاً اجتماعية تخالف ما رأى وسمع في الحجاز والعراق، مما جعله يعدل عن بعض آرائه السابقة حفظًا

١- معجم الأدباء ج ١٧، ص ٢٨٤.

Deen 321 (2015).indd 110 04/08/2016 13:07:58

للمصلحة ودفعًا للمفسدة. وظل بمصر يعلم ويفتي في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط، حتى توفاه الله سنة ٢٠٤ هـ وبني بجوار قبره مسجد عرف باسمه رحمه الله رحمة واسعة[١].

أصول مذهبه:

لقد اعتمد الشافعي في فقهه على الأصول التالية بالترتيب، وهي:

١- القرآن الكريم.

٢- السنة، وقد دافع عن العمل بخبر الواحد والأخذ به ما دام راويه ثقةً ضابطا، وقد نال بهذا الدفاع حظًّا كبيرًا عند أهل (مدرسة الحديث)، ولهذا سمي الشافعي (**ناصر السنة**).

٣- الإجماع.

٤- القياس، ويعمل به بشرط أن يكون له أصل من الكتاب أو السنة.

وهذه الأصول مأخوذة من قوله: (الأصل قرآن أو سنة، فإن لم يكن فقياس عليهما، وإذا اتصل الحديث عن رسول الله ﷺ وصحّ إسناده فهو المنتهى، والإجماع أكبر من الخبر المفرد)[٢].

خواص مذهبه:

- جمع الشافعي بين فقه أهل الرأي وفقه أهل الحديث، بنسب متفاوتة.
- نشر مذهبه بنفسه بما قام به من الرحلات. وكتب كتبه بنفسه، وأملاها على تلاميذه، و لم يُعرف هذا لغيره من كبار الأئمة. قال تلميذه أحمد بن حنبل: (كان الشافعي أفقه الناس في كتاب الله وسنة رسوله).

ومن مفاخره وضعه أصول الفقه في كتابه (الرسالة)، فقد وضع في الفقه أصولاً وقواعد لم يسبقه إليها أحد من أهل العلم والفقه، مما جعله في أعين الباحثين أول مذهب فقهي منظم يجمع بين سداد الرأي وصحة الأصول.

- رأى أن تعلم العربية ضروري لكل مسلم؛ (حتى يشهد باللسان العربي أنه لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطلق بالذكر فيما افترض عليه ...الخ)[٣].

١- وفيات الأعيان ج ٣، ص ٣٠٧.

٢- كتاب (الأم) للإمام الشافعي.

٣- كتاب (الرسالة) للإمام الشافعي.

Deen 321 (2015).indd 111 04/08/2016 13:07:58

تلاميذه:

أشهر من أخذ عنه أحمد بن حنبل في العراق، وفي مصر: يوسف بن يحيى البويطي وإسماعيل بن يحيى المزني، والربيع بن سليمان المرادي.

وقد اشتهر مذهبه، وينتشر الآن في: بلاد الشام، وفي ريف مصر، وبلاد الحجاز، وعند الأكراد، وجزر الفلبين، وسيام، والهند الصينية، وأندونيسيا.

٤- الإمام أحمد بن حنبل

نشأته:

هو أحمد بن حنبل الشيباني، يتصل نسبه بالنبي ﷺ في نزار بن معد بن عدنان[١]. ولد في بغداد سنة ١٦٤هـ، ولما بلغ من العمر ثلاث سنين مات أبوه، فكفلته أمه.

وهكذا نشأ الإمام أحمد بن حنبل يتيمًا فقيرًا، ودخل الكتاتيب وأحب العلم حباً شديداً منذ نعومة أظفاره. سمع من أكابر المحدثين كسفيان بن عيينة، وجلس إلى أبي يوسف صاحب أبي حنيفة فدرس عليه فقه أهل الرأي.

رحلاته العلمية:

طاف - الطالب النجيب المتشوق للعلم - الآفاق رغم فقره، فرحل إلى الكوفة والبصرة فالمدينة فمكة فاليمن فبلاد الشام.

التقى في مكة المكرمة بالإمام الشافعي، فأُعجب به ولزم مجلسه. وعندما انتقل الشافعي إلى بغداد عاد أحمد إليها، وازدادت صلته بالشافعي. فلزم مجلسه، وأخذ عنه الفقه والاجتهاد. وعندما رحل الشافعي إلى مصر قال: خرجتُ من بغداد وما خلَّفتُ فيها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل[٢].

١- وفيات الأعيان ج١ ص ٤٨.

٢- وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٩.

Deen 321 (2015).indd 112 04/08/2016 13:07:58

اشتغاله بالحديث:

واستكثر أحمد بن حنبل من الحديث وحفظه حتى صار إمام أهل الحديث في عصره، وقد صنف (المسند)، الذي يحتوي على أكثر من أربعين ألف حديث، على نظام يخالف نظام مالك في تصنيف (الموطأ)، فقد رتب (المسند) على أسماء الصحابة الذين رويت عنهم الأحاديث، فجعل لكل صحابي باباً، دوَّن فيه كل ما روي عنه بغير نظر إلى موضوع الأحاديث.

وله كتب في الأصول والتفسير. وقد أخذ عنه الحديث جماعة من أكابر المحدثين، منهم إماما المحدثين: البخاري، ومسلم.

أصول مذهبه:

والأصول التي يعتمد عليها في فقهه هي على الترتيب الآتي:

١. القرآن الكريم.

٢. السنة المتواترة.

٣. إجماع الصحابة، فإذا اختلفوا تخيَّر من أقوالهم أقربها إلى الكتاب والسنة.

٤. الأخذ بالحديث غير المتواتر، كخبر الآحاد إذا انتشر ولم يُعرف له منكر.

٥. القياس، ويستعمل عنده في حالة الضرورة[١].

خواص مذهبه:

- طريقته في الاجتهاد تشبه طريقة الشافعي، إلاّ أنه يتوقف إذا تعارضت الأدلة.
- كان يكره الفتوى فيما ليس فيه أثر عن السلف، واعتمد في فتاويه على السنة، وأغفل فقه الرأي، ولهذا عُدَّ من فقهاء (الحديث).
- كان شديد التحري في إصدار أحكامه. ومن هنا كانت سمات التشدد شعار مذهبه، مثل تشدده في أمور الطهارة والنجاسة وغيرها.
- والمذهب الحنبلي – على تشدده – ميسر كل التيسير في المعاملات المالية والعقود والشروط، إذ يقوم على أصل الإباحة فيما لم يرد فيه نص ولا أثر، فكل شيء مباح حتى يقام دليل الحظر والتحريم[٢].

١– إعلام الموقعين لابن القيم.

٢– مدخل الفقه الإسلامي، محمد سلام مذكور.

Deen 321 (2015).indd 113 04/08/2016 13:07:58

ومن أبرز صفاته:

- **الشجاعة والثبات على الحق**: أراده المعتزلة أن يتبع رأيهم في اعتبار القرآن مخلوقاً، فلم يقبل فعُذِّب وحُبس، ولكنه رفض أن يقول غير الحق وهو أن القرآن الكريم كلام منزل من عند الله.

  وتسببت هذه المحنة في شهرته، وإعجاب الناس به، فوفدوا إليه من جهات مختلفة يستفتونه، وينهلون من علمه.
- **عفة النفس والتواضع**: كان يعمل ليأكل، ويوفر لنفسه نفقات أسفاره. وكان لا يحب الظهور، ويكره الرياء، مما دعاه إلى نهي تلاميذه عن تقليده.
- **الزهد والورع**: قال مصعب الزبيري: كان لا يراه الرائي إلا في مسجد، أو عيادة مريض، أو حضور جنازة، فأحبه الناس لزهده وورعه وتقواه.

تلاميذه:

أشهر أتباع أحمد بن حنبل الذين نشروا مذهبه: ولداه صالح وعبد الله، وقد عُني أولهما بالفقه، وعُني الآخر بالحديث. ومن أتباعه ورواة مذهبه أبو بكر الأثرم، وإسحاق التميمي، وأبو القاسم الخرقي، وأبو بكر الخلال.

وفاته:

توفي الإمام الجليل أحمد بن حنبل ببغداد سنة ٢٤١هـ.

وينتشر مذهبه الآن في: نجد، والحجاز، والشام.

Deen 321 (2015).indd 114 04/08/2016 13:07:58

التقـــويم

١. أين ولد الإمام الشافعي ونشأ؟

٢. ما الدليل على نبوغ الشافعي المبكر؟

٣. اذكر البلاد التي رحل إليها الشافعي.

٤. لماذا سمي الشافعي (ناصر السنة)؟

٥. ما هي أشهر كتب الشافعي؟ وأين ألفها؟

٦. بماذا تميزت طريقة الإمام الشافعي في الاجتهاد؟

٧. من هم أشهر تلاميذ الشافعي؟ وأين ينتشر مذهبه الآن؟

٨. اذكر ثلاثة من أساتذة الإمام أحمد بن حنبل.

٩. وازن بين (مسند) الإمام أحمد بن حنبل، و (موطأ) مالك من حيث التصنيف.

١٠. بم تتميز طريقة الإمام أحمد بن حنبل في الاجتهاد؟

١١. من أبرز صفات الإمام أحمد: الشجاعة والثبات على الحق. وضّح ذلك من سيرته.

١٢. أين ينتشر مذهب الإمام أحمد الآن؟

Deen 321 (2015).indd 115 04/08/2016 13:07:58

Deen 321 (2015).indd 116 04/08/2016 13:07:58

الفصل السادس:

القواعـــد الفقهـــية

Deen 321 (2015).indd 118 04/08/2016 13:07:58

المقصود بالقواعد الفقهية

القاعدة في اللغة هي:

أساس البيت ونحوه.

أما في اصطلاح الفقهاء فهي:

(أصول فقهية كلية، في نصوص موجزة دستورية، تتضمن أحكامًا تشريعية عامة، في الحوادث التي تدخل تحت موضوعها).

فقد تصاغ القاعدة بكلمتين أو ببضع كلمات محكمة من ألفاظ العموم. كما أن في هذه القواعد تصويراً بارعاً، وتنويراً رائعاً للمبادئ والمقررات الفقهية العامة.

أهمية القواعد الفقهية:

ولولا هذه القواعد لبقيت الأحكام الفقهية فروعاً مشتتة قد تتعارض ظواهرها. يقول العلامة شهاب القرافي في مقدمة كتاب (الفروق): "إن القواعد الفقهية جليلة كثيرة لها من فروع الأحكام ما لا يُحصى، وهي مهمة في الفقه عظيمة النفع، وبقدر الإحاطة بها يعظم قدر الفقيه، وتتضح له مناهج الفتوى. ومن ضبط الفقه بقواعده استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات لاندراجها في الكليات وتناسب عنده ما تضارب عند غيره".

وأشهر ما عُرف مطبوعاً مما يبحث في القواعد، ثلاثة مؤلفات هامة هي:

١. كتاب (قواعد الأحكام في مصالح الأنام) للفقيه الشافعي عز الدين بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠هـ.

٢. وكتاب (الفروق) للفقيه المالكي الشهير بالقرافي المتوفى ٦٨٤هـ.

٣. وكتاب (القواعد) للفقيه الحنبلي عبد الرحمن بن رجب المتوفى سنة ٧٩٥هـ.

ثم جاءت (**مجلة الأحكام العدلية**) في عهد الدولة العثمانية تحمل في صدرها مجموعة كبيرة من هذه القواعد، فبلغت تسعاً وتسعين قاعدة، وقد يتفرع عن القاعدة الأساسية قواعد فرعية كثيرة قد تزيد عن العشرة.

Deen 321 (2015).indd 119 04/08/2016 13:07:58

التقـــويم

١- عرّف القاعدة عند اللغويين والفقهاء.

٢- وضّح من خلال كلام الإمام القرافي أهمية دراسة القواعد الفقهية.

٣- سمِّ مؤلفين يبحثان في القواعد الفقهية.

٤- تحدث عن مجلة الأحكام العدلية التي صدرت أيام الدولة العثمانية، مبرزًا مكانتها العلمية.

Deen 321 (2015).indd 120 04/08/2016 13:07:58

نماذج من القواعد الفقهية المشهورة

بعد أن عرضنا معنى القواعد الفقهية وأهميتها في الدلالة على الأحكام الفقهية، نعرض فيما يلي أمثلة لهذه القواعد وتطبيقاتها العملية في حياة المسلم[1]، ومنها:

١- (الأمور بمقاصدها):

الأصل في هذه القاعدة الحديث النبوي الشريف: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)[2].

والمقصود بهذه القاعدة أن الأحكام الشرعية في أمور الناس تتكيف حسب قصدهم من إجرائها، فقد يعمل الإنسان عملاً بقصد معيّن فيترتب على عمله حكم، ثم قد يعمل مثله بقصد آخر فيترتب على عمله حكم آخر.

ومن تطبيقات هذه القاعدة:

- أن ملتقط اللقطة يعتبر أميناً لا ضمان عليه إذا تلفت في يده بدون تعدّ منه أو تقصير، إذا كان قصده من التقاطها حفظها وردّها إلى صاحبها، ويعتبر غاصباً إذا كان التقاطها بقصد تملكها، فيضمن هلاكها وتلفها ولو بدون تعدّ منه أو تقصير.
- والزواج سنّة من سنن الإسلام المستحبّة، ولكنه يكون حراماً إذا كان بقصد الإضرار بالزوجة أو ظلمها.
- والصدقة على المسكين سنة مستحبة يترتب عليها الأجر والثواب لفاعلها إن ابتغى بها وجه الله والتقرب إليه، لكنها تصبح محرمة يترتب لصاحبها الإثم والعقاب إن كان يقصد بصدقته الرياء والمنّ والأذى ويبطل ثوابها.

وقد تفرع على هذه القاعدة الفقهية قواعد فرعية أخرى مثل:

"العبرة في العقود للمقاصد والمعاني، لا للألفاظ والمباني".

١- بتصرف عن كتاب: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية / د. عبد الكريم زيدان. وكتاب المنثور في القواعد – للزركشي جزء ٣.

٢- متفق عليه.

Deen 321 (2015).indd 121 04/08/2016 13:07:58

٢- (اليقين لا يزول بالشك):

اليقين لغةً قرار الشيء. واصطلاحًا حصول الجزم بوقوع الشيء أو عدم وقوعه، فمعنى هذه القاعدة أن الشيء المتيقن لا يزول بالشك الطارئ عليه وإنما يزول بيقين مثله.

ومن الأمثلة التطبيقية على هذه القاعدة:

- من ملك أرضاً أو عقاراً لا تزول ملكيته عن الأرض أو العقار إلا بثبوت ما يزيلها؛ لأن ملكيته متيقنة، وزوالها مشكوك به لأنه طارئ، إلاّ إذا ثبت زوال الملكية بيقين مثله.
- من توضأ للصلاة، ثم شكَّ في انتقاض وضوئه، فلا يزال الوضوء قائماً ما لم يثبت نقضه بيقين.
- من ثبت دَيْنه على شخص بأحد طرق الإثبات اليقينية، فإنّ هذا الدين يبقى ثابتاً في ذمة المدين لا يزول إلاّ بثبوت أدائه من المدين بدليل يقيني، أما مجرد الشك فلا يقوى على زعزعة اليقين فلا يعتد به.

٣- (الضرر يزال):

لا يجوز للإنسان إيقاع الضرر بالآخرين ابتداءً، كما لا يجوز مقابلة الضرر بالضرر، سواءً كان ذلك الضرر واقعاً على النفس أو المال أو أي شيء آخر؛ لأن الضرر ظلم، والظلم محرم في جميع الشرائع.
وإذا وقع الضرر من إنسان لآخر، فيجب إزالة ذلك الضرر، لكن الذي يزيل الضرر هو الشرع ممثل بالحاكم أو من ينيبه، ولا يصح أن يقوم به المتضرر. فمن أتلف مال غيره فلا يصح لهذا الغير أن يتلف مال المتلف المتسبب في إيقاع الضرر، بل عليه مراجعة القضاء لتعويضه عن الضرر اللاحق به.

ومن التطبيقات العملية لهذه القاعدة:

- للمشتري ردّ السلعة المعيبة للبائع، إذا كان العيب خفيًا لا يعلمه المشتري.
- للحاكم قمع الفتن وقتال البغاة والمفسدين الذي يتهددون أمن البلاد.
- للدولة فرض الحجر الصحي واتخاذ التدابير الوقائية، لمنع انتشار الأوبئة والأمراض.
- للقضاء أن يحكم ببيع مال المدين المماطل جبراً عليه لإيفاء الدين.

Deen 321 (2015).indd 122 04/08/2016 13:07:58

تنبيه:

الضـرر إذا وجبـت إزالته، فإنه لا يزال بمثله، إنمـا بأخف منه، وقد تفرع على هذه القاعدة قواعد فرعية أخرى مثل:

أ – يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام.

ب– الضرر الأشد يُزال بالضرر الأخف.

٤– (العادة محكّمة):

العادة هي تكرر الشيء ومعاودته حتى يتقرر في النفوس ويكون مقبولاً عندها. ومعنى محكّمة: أي هي المرجع عند النزاع لأنها دليل ينبني عليه الحكم.

فيكـون معنى هذه القاعدة: أن العـادة عامّة كانت أو خاصّة يصحّ تحكيمها لإثبات حكم شرعي وذلك إذا لم يـرد نصـ بذلك الحكم المراد إثباته، فإذا ورد النص عمل بموجبـه ولا يجوز ترك النص والعمل به بناءً على العادة.

ومن الأمثلة التطبيقية على هذه القاعدة:

- مـن بـاع بيتًا دخل في المبيع الحديقـة المنزلية المحيطة به من غير اشـتراط؛ لأن الحديقة ملحقة بالبيع في العرف والعادة.
- مـن بـات في فندق لزمته الأجـرة وإن لم يشترطها صاحب الفندق بدايـةً، لأن ذلك مما ورد عُرفاً.
- يستحـق الدلال أجرة الدلالة من البائع والمشتري حسب النسبـة التي عليها العرف والعادة، وإن لم يشترط ذلك عليهما.

Deen 321 (2015).indd 123 04/08/2016 13:07:58

تنبيهان:

١- حتى تكون العادة محكّمة لابدّ أن تكون غالبة أو مطردة، وليست مقتصرة على أفراد معينين. ويشترط فيها كذلك ألاّ تكون مخالفة لنص الشارع ولا لشرط المتعاقدين.

٢- تفرعت على هذه القاعدة قواعد فرعية أخرى مثل:

- المعروف عُرفاً كالمشروط شرطاً.
- التعيين بالعُرف كالتعيين بالنص.
- لا ينكر تغيّر الأحكام بتغيّر الأزمان.

٥- (المشقة تجلب التيسير):

من خصائص الشريعة الإسلامية اليسر والسهولة، فالتكاليف الشرعية التي أمر الله بها عباده تتناسب مع قدرات المكلفين دون عنت أو مشقة، فالصلاة أُمر بها الصبي المميز الذي يعي أحكامها، والزكاة يؤديها المالك للنصاب، والصوم فرض على المسلم العاقل البالغ، والحج يُطلب من المسلم البالغ العاقل المستطيع وهكذا.

ولكن قد تعرض للمسلم ظروف صعبة، تحول دون أدائه لبعض التكاليف الشرعية على الوجه الصحيح، أو يتعذر عليه أداؤها، ففي مثل هذه الحالات، خفَّف الله على المكلفين، فأجاز لهم تأدية هذه التكاليف بما يتناسب مع قدراتهم وظروفهم.

والأمثلة التطبيقية على هذه القاعدة كثيرة في حياة المسلمين ومن ذلك:

- إباحة التيمم لمن لا يجد الماء، أو كان به أذى أو جراح أو مرض ويضره استخدام الماء؛ تيسيرًا على المسلمين.
- أن الحائض تترك الصلاة أثناء فترة الحيض، ولا تطالب بإعادة أو قضاء الصلوات التي فاتت أثناء ذلك.
- إباحة الفطر في رمضان للمسافر تيسيرًا عليه بسبب مشقة السفر.

Deen 321 (2015).indd 124 04/08/2016 13:07:59

وتعتبر هذه القواعد الفقهية الخمس أشهر القواعد الفقهية، وأكثرها التصاقًا بحياة المسلمين، حتى أن العلماء عدّوها أصول قواعد المذهب الشافعي فقال الشاعر:

خمسٌ مكونةٌ قواعدَ مذهبٍ
للشافعي فكن بهنَّ خبيرًا
ضررٌ يزال وعادةٌ قد حكّمت
وكذا المشقةُ تجلبُ التيسيرا
والشكُّ لا ترفع به متيقنًا
فالقصدُ أخلص إن أردت أجورًا

Deen 321 (2015).indd 125 04/08/2016 13:07:59

التقـــويم

١- وضّح المقصود بالقواعد الفقهية الآتية:

- الضرر يُزال.
- اليقين لا يزول بالشك.
- المشقة تجلب التيسير.

٢- متى تكون العادة محكّمة؟

٣- استنتج القاعدة الفقهية التي يمكن تطبيقها على كل ممارسة من الممارسات الآتية:

( ) تركت مريم الصلاة أثناء فترة الحيض.

( ) توضأ أحمد للصلاة ثم شكَّ في انتقاض وضوئه.

( ) اتخذت الدولة التدابير الوقائية للحد من انتشار بعض الأمراض المعدية.

( ) باع رجل بيتًا فدخل في المبيع ملحق الخادمة.

النشاط:

ابحث في مجلة الأحكام العدلية عن قواعد فقهية أخرى، ودوّنها في كراستك.

Deen 321 (2015).indd 126 04/08/2016 13:07:59

Deen 321 (2015).indd 127 04/08/2016 13:07:59

وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(سورة يونس من الآية ١٠)

Deen 321 (2015).indd 128 04/08/2016 13:07:59